سلسلة الثقافة الإسلامية

(١١٠)

المنازل الثلاثة للرحمة في حياة الناس

الزمان - المكان - الإنسان

محمّد مهدي الآصفي



اسم الكتاب: ....المنازل الثلاثة للرحمة في حياة الناس

المؤلف:.. محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢م

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ النور/ ٣٦-٣٧.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الاعراف/ ١٣٧.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾الاسراء/١.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾آل عمران/٩٦.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾مريم/٣١.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ المؤمنون/٢٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

في حياة الانسان منازل ثلاثة للرحمة الالهية نتحدث عنها في هذا المقال، واليك الاجمال أولاً ثم التفصيل.

أما الأجمال:

١- أن رحمة الله تعالى هابطه في كل مكان وزمان، لا يخلو منها شيئ. يقول تعالى ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ الاعراف/١٥٦.

﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً**﴾غافر/٧.

٢- ولكن هناك منازل لرحمة الله، تنزل عليها رحمة الله، بشكل خاص وغزيراً، وكأنَّ رحمة الله تصب عليها صباً غزيراً من غير حساب.

وأعظم هذه المنازل ثلاثة:

أ- منازل زمانية مثل ليلة الخامس عشرة من شعبان، وليلة الجمعة وليلة القدر من شهر رمضان.

يقول تعالى: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾القدر/٣-٥.

﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ**﴾الدخان/٣.

﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾البقرة/١٨٥.

﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ**﴾ابراهيم/٥.

ب- منازل مكانية مثل وادي عرفه يوم عرفه، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، والحائر الحسيني، والمسجد الأعظم في الكوفة.

﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴾آل عمران/٩٦.

﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ النور/ ٣٦-٣٧.

﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ**﴾القصص/٣٠.

﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾الاسراء/١.

ج- الانسان، وما رزق الله الانسان من القيم والمواهب والاعمال والأحوال مثل التوحيد، والقرآن، والذكر، والصلاة، والتقوى، والمعرفة، والدعاء، والسجود، وكل ذلك أدخلناه في عنوان الانسان، لأنّ الله تعالى خصّ بها الانسان... وحملها الانسان، وهذه مواهب عظيمة مباركه، جعلها الله تعالى منازل لرحمته الواسعة وبركاته العظيمة، وجعل الانسان موضعاً لهذه البركات العظيمة فهو يوحد الله، ويذكر الله، ويتلو القرآن ويحمله الى الناس، ويتقي الله....

يقول تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ**﴾مريم/٣١.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾الإسراء/ ٧٠

٣- وعلى الانسان في الحياة الدنيا في هذه الأيام المحدودة التي يعيشها على وجه الأرض أن يغتنم منازل الرحمة، ويراقب مواعيدها ومساراتها ومواطنها، ولا تفوته فإن الفرص تمر مر السحاب.

والتفريط في هذه الفرص يورث صاحبه الحسرة والندم يوم الحسرة الكبرى يقول تعالى: **﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى على مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** الزمر/٥٦.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أن الفرص تمر مر السحاب فانتهزوها، في اثواب الخير، والا عادت ندماً)(١).

وهذه مقالة موجزه في مراقبة منازل الرحمة في الزمان والمكان وعند الانسان، والحث على مراقبة هذه المنازل وانتهازها، وعدم التفريط فيها.

نتناول فيها إن شاء الله المحاور الثلاثة التالية:

المحور الاول الرحمة الالهية

المحور الثاني منازل الرحمة ومواطنها في حياة الانسان

المحور الثالث مراقبة منازل الرحمة وانتهازها.

واليك تفصيل هذه النقاط إن شاء الله.

---

(١) غرر الحكم ودور الكلم للامدي: كلمة ١٠٨١١ من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام.

-١-

الرحمة الالهية

الرحمة الالهية

من ابرز صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى واكثرها شيوعاً واستعمالاً في القرآن والحديث بعد اسم الجلالة (الله) هو الرحمة.

فقد ورد اسم الجلالة (الله) في ٩٨٠ آية

وورد كلمة (الرحمة) في ٤٠ آية

وكلمة الرحمن ١٧١

وكلمة الرحيم في ٢٠٩

وهو الاسم الثاني بعد اسم الجلالة (الله) في أعظم آية في القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) ولها مشتقات كثيرة في القرآن.

الرحمن الرحيم:

ومن أكثر هذه الاشتقاقات: الرحمن الرحيم. وقد وردا معا في البسملة، وهي كما قلنا أعظم آية في القرآن الكريم.

والرحمن صيغة مبالغة من (فَعْلان) للدلالة على الشمول والتعميم في رحمة الله بالنسبة الى الكون عموماً، وعلى المؤمنين والكافرين والجاحدين. يقول تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾طه/٥.، غير أنّ صيغة المبالغة هنا تجري على نحو الحقيقة وليست على نحو المجاز، كما في أكثر موارد إستعمال صيغ المبالغة.

والرحيم صيغة مبالغة من (فعيل) للدلالة على الثبات والدوام.

إذن، الرحمان تدل عموم الرحمة الالهية في الدنيا لكل الناس المؤمن والجاحدين والصالحين والفاسقين... كل يكون مشمولاً لرحمة الله تعالى والرحيم تدل على ثبات الرحمة الالهية، والثبات لا يكون الا في المؤمن. يقول تعالى: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾الأحزاب/٤٣. يقول تعالى: ﴿**إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾(١)التوبة/١١٧.

روى عن الإمام الصادقعليه السلام في هذا المعنى: الرحمن اسم خاص بصيغة عامّة ، والرحيم اسم عام بصيغة خاصه(٢).

---

(١) راجع تفسير الميزان: ١٨/١-١٩ في تفسير البسملة.

(٢) مجمع البيان: ٥٧/١. ونور الثقلين: ١٥/١. والمعنى واضح، فإن الرحمان يعم جميع الناس المؤمنين والمنافقين والجاحدين وأما الرحيم فيخص المؤمنين فقط يقول العلامة السيد الطبطبائي في الميزان: ١٢/١ في تفسير هذه الرواية: وأما كون الرحمان اسم خاصاً بصيغة عامة والرحيم اسماً عاما بصيغة خاصة، فكانه يريد: إن الرحمان خاص بالدنيا ونعيم الكافر، والمؤمن والرحيم عام للدنيا والآخرة ويخص المؤمنين.

اقول ويمكن إن يكون وجه تسمية (الرحمان) باسم خاص، لأن (الرحمن) يخص الله تعالى، ولا نعرف اطلاق اسم الرحمان في الكتاب والسنة على غير الله فهو خاص بالله، عام للمؤمنين والكافرين. وأما الرحيم فيعّم الخالق والمخلوق والراحم والمرحوم. وقد ورد في القرآن في صفة رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ التوبة/١٢٨.

وقد روى في هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لأن الله تعالى خلق ماءة رحمة، فرحمته بين خلقه جميعاً يتراحمون بها، وأدّخر لأوليائه تسعة وتسعين رحمة(١).

الرحمة الواسعة:

رحمة الله وسعت كل شيء، ولا اوسع من رِحمة الله.

يقول تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ الاعراف /١٥٦.

ومن دعاء حملة العرش: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً**﴾غافر /٧.

﴿**فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ**﴾الانعام/١٤٧.

وإذا وسعت رحمة الله كل شيء فكيف لا تتسع رحمة الله الكافر والفاسق والمنافق؟

أقول: إن رحمة الله لا تضيق بالكافر والفاسق والمنافق، ولكنهم يرفضون رحمة الله. ومثل ذلك مثل الانسان الذي يغمض عينيه عن نور الشمس، وقد ملاء نورها الخافقين.

عن الإمام الجواد محمد بن علي عليه السلام:

اعلموا أن الله تبارك وتعالى الحليم العظيم إنما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، وإنما يمنع من لم يقبل منه عطاءه، وإنما يضل من لم يقبل منه هداه. وكتب على نفسه الرحمة، فسبقت قبل الغضب، فتمت صدقاً وعدلاً فليس يبتدء العباد بالغضب

---

(١) كنز العمال للملتقى الهندي: ج٥٦٦٨ و٥٦٦٧.

قبل أنَّ يغضبوه، وكل أمة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه، وولاّهم عدوّهم حين تولوه[1].

الرحمة التي كتبها الله على نفسه:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾الأنعام/٥٤.

لقد أوجب الله تعالى على نفسه الكريمة الرحمة تفضلا منه ورحمة على عباده، وتطميناً لنفوسهم وبشارة لهم، وإستعادة للمعرضين منهم عن الله الى رحاب رحمته وأمر الله تعالى رسوله: أن يبدأهم السلام تطميناً لنفوسهم وبشارة. وهذه الرحمة هي الرحمة الواجبة التي أوجبها الله تعالى وكتبها على نفسه الكريمة العظيمة.

ولا نعرف في كتاب الله امراً كتبه الله تعالى على نفسه عدى (الرحمة)

وقد ورد ذلك في موضعين من سورة الانعام: ٥٤ و١٢.

أخرج الترمذي، وصححه، وابن ماجه والبيهقي عن رسول الله لما خلق الله الخلق كتب كتابا على نفسه (أن رحمتي تغلب غضبي).

(١) بحار الأنوار: ٣٥٩/٧٥.

وأخرج عبد الرزاق وابن ابي شيبه والبخاري عن رسول الله ﷺ: (لما خلق الله الخلق كتب كتابا (ان رحمتي سبقت غضبي) وهي بمعنى اوجب على نفسه)

وأنما كتب الله تعالى على نفسه ليطمئن عباده برحمته، ويعيد النافر من قلوبهم الى رحاب التوبة والطاعة والمغفرة.

الرحمة السابقة:

إنّ غضب الله تعالى حق، ورحمة الله حق ولكن رحمته تسبق غضبه، بمعنى أن الله يتولى عباده، كل عباده، ابتداءً بالرحمة، فإذا رفضوا الرحمة، ولم يتقبلوها واعرضوا عنها حلّ بهم الغضب.

﴿**وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾الرعد/٦.

لقد سأل أولئك الكفار رسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى أن ينزل عليهم العذاب، أستهزاءً برسول الله ﷺ، دون أن يسألوا الله العافية والرحمة.

وفي جواب استهزاء المشركين يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾ وهذه هي الكلمة الاولى. أن رحمة الله تعالى أدنى اليهم من غضبه رغم ظلمهم وجحودهم وكفرهم.

والكلمة الثانية: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ فإذا رفضوا ذلك، وأعرضوا عن مغفرة الله ورحمته فإن الله شديد العقاب.

إن القاعدة والاساس: أن الله تعالى يتعامل مع عباده بالرحمة، وأما الغضب والعقاب فهو استثناء.

وإن ١١٣ سورة من مجموع ١١٤ سورة من القرآن الكريم يبتدء باسم الله الرحمن الرحيم.

وما أعظم وأجل وأكرم ما نقرأه في سورة الزمر/٥٣، من الرحمة الالهيّة السابغة النازلة على المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم في معصية الله.

فاقرأو آية الزمر ٥٣ ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾

وهذا خطاب للذين اسرفوا على انفسهم: إن لا يستدرجهم الإسراف في الذنوب الى القنوط من رحمة الله ، فإن الله يغفر الذنوب جميعاً، ويخاطبهم الله بهذا الخطاب الجميل (يا عبادي) وليس المخاطب بهذا الخطاب أولياء الله وأحباؤه، وإنما المخاطب به الذين أسرفوا على انفسهم بالذنوب والمعاصي.

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ البقرة/٢٢٢.

وكأَنَّ الله يحثّ عباده الذين خرجوا عن طاعته بالعودة اليه، فإن الله يحب التوابين.... والتوابون غير الطائعين، وليس في هذه الآية إن الله يحب الطائعين، وأنما يحب الله التوابين، والتوابون هم العائدون من العصيان الى الله. والله تعالى يحب العائدين اليه.

عن رسول الله ﷺ: «ليس شيء أحبَّ الى الله من مؤمن تائب او مؤمنه تائبة»(١).

وعن رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد»(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله تعالى أشدَّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها. فالله أشدَّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل»(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «توبوا الى الله عز وجل، وادخلوا في محبته، فإن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، والمؤمن توّاب»(٤).

ويقول تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ الحجر/٤٩.

وهذا الإنباء والخطاب للعاصين والمذنبين من عباد الله، والله تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يستعيد اليه عباده المعرضين عنه، فإنه الغفور الرحيم.

---

(١) بحار الأنوار: ٢١/٦ج ١٥.

(٢) كنز العمال: ١٠١٦٥.

(٣) أصول الكافي: ٤٣٥/٢ ح٨.

(٤) كنز العمال: ١٠١٦٥.

مشاهد من الرحمة الالهية في علاقة اللّه بعباده في القرآن

إن علاقة الله بعباده الرحمة: يخلقهم، ويرزقهم، ويهديهم، ويعافيهم، ويشفيهم، ويستر عليهم، ويغفر لهم ذنوبهم، ويوسع عليهم من رحمته، ويدعوهم الى دعائه، ويسمع لدعائهم، ويستجيب لهم، ويلطف بهم، ويعفو عنهم، ويرحمهم، ويهببهم، ويكرمهم، ويعزهم....

واليك طائفة من اسماء الله وصفاته الحسنى في علاقة الله تعالى بعباده.

سمع الدعاء	آل عمران٣٨
غافر الذنب	غافر٣
قابل التوب	غافر٣
ذي الطول	غافر٣
غفور رحيم	التوبة٥
غفار	طه٨٢
عفو غفور	الحج ٦٠
	النساء ٤٣
ودود	هود ٩٠
لطيف	يوسف١٠٠
أرحم الراحمين	الاعراف١٥١
	يوسف٦٤
الرحمان الرحيم	الفاتحة٧
خير الرحمين	المؤمنون ١٠٩،١١٨

خير الغافرين	الاعراف١٥٥
ذو الفضل العظيم	البقرة١٠٥
ذو الفضل على العالمين	البقرة٢٥١
ذو الرحمة	الانعام١٣٣
ذو رحمة واسعة	الانعام ١٤٧
الوهاب	آل عمران٨
الكريم	المؤمنون١١٦
واسع المغفرة	النجم٥٣
الرزاق	الذاريات٥٨
قريب مجيب	هود ٦١

مشاهد من الرحمة التي خلقها الله في نفوس عباده:

خلق الله تعالى للإنسان زوجا من نفسه يعيش معه، وخلق بينهما مودة ورحمة وسكنا ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾الروم/٢١.

والله تعالى يؤلف بين قلوب المؤمنين لو أنفقوا ما في الأرض جميعاً لم يؤلفوا بين قلوبهم ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾الأنفال/٦٣.

وخلق الله الرحمة في قلب الوالدين تجاه ابنائهم وبناتهم، وخلق الرحمة في قلب الابناء والبنات تجاه آبائهم وامهاتهم، وخلق الرحمة في قلب الحيوانات تجاه صغارها وفروخها،

وخلق الرحمة في قلوب الارحام تجاه الصغار، وفي قلوب الناس تجاه بعضهم لبعض.

روى انه قدم على النبي صلى الله عليه وآله بسبي فاذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها فقال لنا النبي صلى الله عليه وآله: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها

-الإمام زين العابدين عليه السلام -في الدعاء- يامن هو أبر بي من الوالد الشفيق، وأقرب إلي من الصاحب اللزيق (الرفيق-خ ل).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله خلق ماءة رحمة يوم خلق السماوات والأرض. كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض. فأهبط رحمة واحده منها الى الأرض، فبها تراحم الخلق، وبها تعطف الوالدة على ولدها، بها تعيش الخلائق(١).

أخرج احمد وابو داود عن جندب بن عبد الله البجلي قال: جاء اعرابي فأناخ راحلته ثم صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نادى (اللهم ارحمني ومحمداً، ولا تشرك في رحمتنا احداً) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد حظرت رحمة واسعة إن الله خلق ماءة رحمة، فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنّها وإنسها وبهائمها، وعنده تسع وتسعون)(٢).

ولو أن الله تعالى ينتزع الرحمة التي أودعها في قلوب خلقه وعباده ساعة واحدة فلا ترحم أم اولادها، ولا أب اولاده، ولا

---

(١) كنز العمال: ج١٠٤٦٤.

(٢) الدر المنثور في تفسير الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.

زوج زوجه، ولا صديق صديقه، ولا طبيب مريضه، ولا كبير صغيراً، ولا صغير كبيراً، ولا قوي ضعيفاً، ولا غني فقيراً، ولا عالم جاهلاً، ولا رَحمٌ رحَماً ،ولا انسان إنساناً لتهدمت حياة الناس مرة واحدة.

ولكن الله تعالى أرحم الراحمين يرحم عباده، ويجعل في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض، والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم.

ويقول تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ الضحى/٥.

فسبحان الله والحمد لله، ما هذا العطاء الذي يمتد ويتواصل من الله على عباده، عطاءً بعد عطاء، حتى يرضون.

والقنوط من رحمة الله من أعظم الذنوب.

﴿**قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ**﴾ الحجر/٥٦.

ويقول تعالى حكاية عن يعقوبعليه السلام: ﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾يوسف/٨٧.

سبحانكَ ربنا ما أرحمك وأكرمك وأشفقك على عبادك وخلقك، يعصونك فتدعوهم، ويعارضوك فتقبل عليهم، ويتبغضون اليك فتتحبب اليهم كأن لهم التطّول عليك.

ولنستمع الى الأمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) في دعاء الافتتاح(فلم أر مولى كريما اصبر على عبد لئيم منك عليّ يا رب. إنك تدعوني فأولي عنك، وتتحبب الي فأتبغض اليك، وتتوددّ الي فلا أقبل منك، كانّ لي التطّول

عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي والاحسان الي، والتفضل علي بجودك)

وإنّ رحمة الله الواسعة بعباده مع ظلمهم واسرافهم وإعراضهم عن ربهم، ومقابلتهم لرحمته وغفرانه بالذنوب والمعاصي من دون حياء وخجل، مرة بعد اخرى، وذنباً بعد ذنب... يُطْمِعُ العبد في رحمته الواسعة وغفرانه، مع كل ما اقترفته يداه من الذنوب والمعاصي، ولأ ييأس من دعائه وسؤاله

فاستمع الى الأمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف (كما في دعاء الافتتاح المرويّ عنه عليه السلام).

«اللهم إنّ عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي وصفحك عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جرمي، عندما كان من خطائي وعمدي أطمعني في أن أسألك مالا استوجبه منك الذي رزقني من رحمتك وأريتني من قدرتك، فصرت ادعوك آمنا، وأسألك مستأنسا، لا خائفاً ولا وجلا، مدلاً (من الدلال) عليك فيما قصدت فيه اليك، فإن ابطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور».

والله يحب التراحم بين الناس:

إن الله تعالى رحمن رحيم، أرحم الراحمين، خلق الرحمة بين عباده ودعاهم الى رحمته الواسعة ودعا عباده الى التراحم فيما بينهم، ويحب التراحم بين عبادة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله من لا يَرْحَمْ لا يُرْحم[1].

وعنه صلى الله عليه وآله: (من لا يَرْحَمْ الناس لا يرحمه الله)[2].

وعنه صلى الله عليه وآله: (من لا يَرْحَمْ لا يُرْحم، ومن لا يغفر لا يُغفر له)[3].

وعنه صلى الله عليه وآله: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)[4].

وعنه صلى الله عليه وآله: (أن الله رحيم يحب الرحيم يضع رحمته على كل رحيم)[5].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم يرحم الناس منعه الله رحمته»

التعرّض لرحمة الله:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا»

وعنه صلى الله عليه وآله: «اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»

وعنه صلى الله عليه وآله: «تعرضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته»

---

(١) بحار الأنوار: ٧٦/٨٢.

(٢) كنز العمال: خ٥٩٧٣.

(٣) كنز العمال: ح٥٩٦٦.

(٤) كنز العمال: ح٥٩٧٧.

(٥) كنز العمال: ح١٠٣٨١.

-٢-

منازل الرحمة

فى حياة الناس

منازل الرحمة

في حياة الناس

رحمة الله تعالى في كل مكان وفي كل زمان، وفي كل شيء لا يخلو منه زمان ولا مكان ولا إنسان، وهي الرحمة الواسعة الشاملة العامة التي وسعت كل شيء.

ولكن هناك منازل يخصها الله تعالى بالرحمة، وتنزل عليها رحمة الله أكثر من أي زمان آخر ومكان وشيء آخر، حتى ورد في شهر رجب عن رسول الله صلى الله عليه وآله (رجب شهر الله الاصب، يصب الله فيه الرحمة على عباده)[1].

ولابد للمؤمنين من معرفة هذه المنازل اولاً، ومراقبتها ثانياً حتى لا يفوتهم الحضور فيها وانتهازها واغتنامها.

وسوف نتحدث إن شاء الله عن منازل الرحمة في حياة الناس نعقبه بالحديث عن مراقبات منازل الرحمة.

من أعظم منازل الرحمة على وجه الأرض في حياة الناس.

١- الزمان

٢- المكان

٣- الأنسان

وسوف نتحدث عن هذه المنازل الثلاثة إن شاء الله.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦/٩٧.

-١-

الزمان

من منازل الرحمة الزمان

والرحمة الألهية وإن كانت نازلة في كل زمان بلا إستثناء، ولكن هناك مقاطع من الزمان يخصه الله تعالى برحمته.

وليس الزمان فقط وعاءً للزمانيات، كما يقول بعض الفلاسفة ... ولو كان كذلك لم يختلف زمان عن زمان، ونحن نقرء في كتاب الله عن ليلة القدر: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾القدر/٣. إن ليلة القدر ليلة كسائر الليالي، ولكن الله تعالىً يفضلها على الف شهر، فلو كان الزمان وعاءً للزمانيات فقط لم يكن تتفاوت ليلة عن ليلة، ولا يوم عن آخر.

دورة الزمان في الاشهر القمرية

السنة الشمسية والقمرية

يقاس الزمن عندنا بمقياسين بدورة الارض حول الشمس (الحركة الانتقالية للأرض) وبدورة القمر الشهري... وتسمى الاولى بالسنة الشمسية والثانية بالسنة القمرية.

وللسنة القمرية اساس في القرآن

يقول تعالى ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾البقرة/١٨٩.

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُور عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾التوبة/٣٦.

والأشهر الحرم الاربعة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب باتفاق الفقهاء، وهي اشهر قمرية.

وكل من السنة القمرية والسنة الشمسية منازل لبركات كثيرة من عند الله.

إلاّ إن السنة الشمسية تخص غالباً البركات المادية الطبيعية في حياة الانسان كالزراعة والتجارة ونزول الامطار، وأوان الثمار والحر والبرد وإمثال ذلك... فإنها جميعاً تقاس بمقاييس السنة الشمسية مثل مواعيد زراعة الحنطة والشعير والارز والخضروات، ومواعيد إقتطاف ثمار الاشجار، ومواعيد نزول الامطار، وبرودة الجو، وحرارة الجو، والاعتدال الربيعي والخريفي.

وأما الاشهر القمرية فهي مواعيد نزول البركات الغيبية والعبادات مثل ليلة القدر للاحياء والدعاء، وشهر رمضان للصيام، وذي الحجة للحج، ويوم التاسع من عرفة للوقوف في عرفة وامثال ذلك.

ولئن كنا نعرف البركات المادية والطبيعية للسنة الشمسية بالتجربة والخبرة والممارسة، فإنا لا نعلم عن البركات الغيبية لمواعيد السنة القمرية شيئاً الا عن طريق الوحي، وليس لنا من سبيل آخر لمعرفة منازل الرحمة خلال السنة الا من خلال الوحي والكتاب والسنة.

الاشهر الثلاثة الفضيلة في السنة

الاشهر الثلاثة الفضيلة في السنة القمرية هي (رجب) و(شعبان) و(رمضان).

شهر رجب:

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي. فمن صام رجب يوماً استوجب رضوان الله الأكبر واطفأ صومه في ذلك اليوم غضب الله، وأغلق عنه باباً من ابواب النار. ولو أُعطى ملأ الارض ذهباً ما كان بأفضل من صومه، ولا يستكمل أجره بشيء من الدنيا، دون الحسنات، اذا أخلصه لله. وله اذا أمسى عشر دعوات مستجابات. إن دعا بشيء من عاجل الدنيا أعطاه الله، وإلا ادخر له من الخير افضل مما دعا به داع من أولياءه وأحباءه وأصفياءه(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من صام اول يوم من رجب وجبت له الجنة(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (رجب شهر الاستغفار لأمتي، فأكثروا فيه الاستغفار فإنه غفور(٣).

---

(١) مستدرك الوسائل:٤٠٣/٧. واقبال الاعمال للسند ابن طاووس: ٤٩٢/٢.

(٢) اقبال الاعمال: ٤٩٢/٢.

(٣) بحار الانوار: ٣٩/٩٤، ٧٧.

وعن علي بن سالم عن ابيه قال: دخلت على الصادق عليه السلام في رجب، وقد بقيت منه ايام.

فلما نظر اليّ، قال يا سالم هل صمت في هذا الشهر شيئاً؟ قلت: لا والله يا بن رسول الله.

فقال لي لقد فاتك من الثواب مالم يعلم مبلغه الا الله عز وجل.

فقلت له يابن رسول الله فإن صمت مما بقى شيئاً هل أنال فوزاً ببعض ثواب الصائمين فيه؟ فقال: يا سالم، من صام يوماً من آخر هذا الشهر، كان ذلك أماناً له من شدة سكرات الموت، وأماناً له من هول المطلع وعذاب القبر. ومن صام يومين من آخر هذا الشهر كان له بذلك جوازاً على الصراط. ومن صام ثلاثة أيام من آخر هذا الشهر أمن يوم الفزع الاكبر من أهواله وشدائده واعطى براءة من النار(١).

وقد روى الصدوق بسند معتبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال في رجب: استغفر الله الذي لا اله الا هو وحده لا شريك له واتوب اليه ماءة مرة وختمها بالصدقة، ختم الله له بالمغفرة والرحمة(٢).

---

(١) بحار الانوار: ٣٣/٩٤ ووسائل الشيعة ١٨/١٠ وفضائل الاشهر الثلاثة: ٥/٢ للشيخ الصدوق: ٦/٢.

(٢) فضائل الاشهر الثلاثة: ٣٠.

التفرغ للعبادة في اربع ليالي من السنة:

في قرب الاسناد عن ابي البختري وهب بن وهب عن الامام الصادقعليه السلام عن ابيه عن جده عن عليعليه السلام: كان يعجبه أن يُفَرّغ الرجل نفسه اربع ليال من السنة.

أول ليلة من رجب، وليلة النحر (ليلة عيد الاضحى) وليلة الفطر (ليلة عيد الفطر) وليلة النصف من شعبان[1].

ليلة السابعة والعشرين من شهر رجب:

روى الشيخ ابو جعفر الطوسي في المصباح عن ابي جعفر الجوادعليه السلام: إن في رجب ليلة هي خير للناس مما طلعت عليه الشمس، وهي ليلة سبع وعشرين. وإن للعامل فيها مثل أجر عمل ستين سنة[2].

وناهيك في فضل هذه الليلة إن العبادة فيها خير مما طلعت عليه الشمس.

شهر شعبان:

عن رسول اللهصلى الله عليه وآله شعبان شهري. من صام يوماً من شهري وجبت له الجنة[3].

---

(١) بخار الانوار: ١٢٨/٨٨ و٣٦/٩٤ و٨٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ٢٨٨/٩ ومفاتيح الجنان في اعمال شهر رجب.

(٣) مفاتيح الجنان في اعمال شهر شعبان.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام كان يقول ابي الحسين عليه السلام يقول: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام: من صام يوماً من شعبان حباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقرباً الى الله أحبه الله وقربه الى كرامته يوم القيامة واوجب له الجنة(١).

وعن امير المؤمنين عليه السلام كان يقول: ما فاتني صوم شعبان، منذ سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في شعبان. ولن يفوتني صوم شعبان، إن شاء الله(٢).

ليلة النصف من شعبان:

سأل الإمام الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان، فقال هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله تعالى العباد فضله ويغفر لهم بمنه فاجتهدوا في القربه الى الله. فإنها ليلة آلى الله على نفسه أن لا يرّد سائلاً سأله فيها، مالم يسأله معصيته(٣).

شهر رمضان:

وهو أعظم شهور السنة على الاطلاق وفيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر.

وقد روى الصدوق بسند معتبر عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله (خطبنا ذات يوم، فقال:

---

(١) بحار النوار: ٨٣/٩٤.

(٢) بحار الانوار: ٧٩/٩٤ ووسائل الشيعة: ٥٠١/١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ٥٨/٨ واقبال الاعمال في اعمال شهر شعبان ومصباح المنهج اعمال شهر شعبان.

ايها الناس، إنه قد أقل اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة. شهر هو عند الله افضل الشهور، وايامه افضل الايام ولياليه افضل الليالي وساعاته افضل الساعات. هو شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ودعاؤكم فيه مستجاب)[1].

ليلة القدر:

وهي أفضل ليالي السنة علي الأطلاق، ولا نزيد فيها على ما قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾القدر/٣. ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾الدخان/٣.

يوم عرفة:

يوم التاسع من ذي الحجة بعد زوال الشمس (الظهر) في وادي عرفة أفضل أيام السنة على الاطلاق. ولا يرد الله فيه سائلاً يسأله، الإ أن يسأله في معصيته، ولن يقوم احد في هذا الوادي هذه الساعات بعد الزوال من يوم عرفة الا غفر الله تعالى له

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أعظم أهل عرفات جرماً من انصرف (من عرفة) وهو يظن أنه لم يغفر له[2].

---

(١) عيون اخبار الرضا للصدوق: ٢٩٠/٢ وروضة الواعظين: ٤١٦ ووسائل الشيعة كتاب الصوم وفضائل الاشهر الثلاثة:٦٦ اعمال شهر رمضان.

(٢) دعائم الاسلام: ٢٧٩/١.

وروى محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمع علي بن الحسين عليه السلام يوم عرفة سائلا يسأل الناس. فقال له ويحك اغير الله تسأل في هذا اليوم؟ إنه ليرجى لما في بطون الحبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً(١).

وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام ما يقف أحد على تلك الجبال، بر ولا فاجر، إلا استجاب الله له، فأماّ البر فيستجاب له في آخرته. وأما الفاجر فيستجاب له في دنياه(٢).

ليلة الجمعة ونهار الجمعة:

عن الإمام الصادق عليه السلام إن للجمعة حقاً واجباً فاياك أن تضيع حرمته او تقصر في شيء من عبادة الية فإن الله تعالى يضاعف فيه الحسنات، ويمحو السيئات ويرفع فيه الدرجات، ويومه مثل ليلته، فإن استطعت أن تحييها بالدعاء والصلاة فافعل، فإن الله تعالى يرسل فيها الملائكة الى السماء الدنيا لتضاعف فيها الحسنات وتمحو فيها السيئات وإن الله واسع كريم(٣).

دولة الليل:

لليل دولة، وللنهار دولة

---

(١) من لا يحضره الفقه: ١٣٧/٢.

(٢) من لا يحضره الفقه: ١٣٧/٢.

(٣) بحار الانوار: ٢٧٥/٨٦ وسائل الشيعة: ٣٧١/٧ تهذيب الاحكام باب العمل ليلة الجمعة ويومها.

ونقصد بدولة النهار سلطان الحق على وجه الأرض والحكم بما انزل الله بالحق في عباد الله، والسعي الى تحكيم شريعة الله في حياة الناس، ودعوة الناس الى الله، ولا نقصد بدولة النهار: البطر والرئاء والغرور والطغيان الذي يمارسه اصحاب السلطان في الأرض.

ولليل دولة يجد فيها اصحاب الليل من لذة اللقاء والمناجاة وذكر الله والسجود بين يدي الله والتضرع والاخبات والإنابة ما لا يعرفه عامة الناس. اولئك يسكنون الى ذكر الله في الليل، ويجدون فيه من اللذة والراحة ما يسلب عنهم لذيذ النوم، فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، كما لو كان الانسان ينام على حسك السعدان.

ومن عجب أن اصحاب دولة النهار هم اصحاب دولة الليل، ولا يرقون الى استلام دولة النهار، أن لم يكونوا من أصحاب الليل.

ففي الليل يجد هؤلاء من الطمأنينة والإيمان والقوة والعزم ما يؤهلهم لاستلام دولة النهار.

منازل الرحمة في آناء الليل:

إن الله تعالى جعل الليل في حياة الناس مواطن للرحمة للذكر والعبادة والصلاة والسجود وتلاوة القرآن والاستغفار... الليل.

وقد خصّ الله تعالى هذا الوقت بالتأكيد على الصلاة، والسجود، والاستغفار، وتلاوة الكتاب.

يقول تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً**﴾الانسان ٢٥-٢٦.

والسجود والتسبيح حسن في كل وقت ولكن لليل خصوصيته وميزه ليس في النهار في السجود والتسبيح.

ويصف الله تعالى عباد الرحمان بأنهم يبيتون لربهم سُجّداً وقياماً.

﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً**﴾الفرقان/٦٣-٦٤.

إن هذا المشهد الذي يرسمه القرآن ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً**﴾ مشهد يحبه الله تعالى

روى الشهيد الثاني في مسكّن الفؤاد:

(أوحى الله تعالى الى بعض الصديقين: (إن لي عبادا من عبادي، يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إلي أشتاق اليهم، ويذكروني وأذكرهم، فإن أخذت طريقتهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك. فقال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار، كما يراعي (الراعي) الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس، كما تحن الطيور الى أوكارها عند الغروب.

فإذا جنهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسرة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إلي أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملقوني بأنعامي، ما بين صارخ وباك، وما بين متأوه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين

راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي.

أقل ما أعطيهم ثلاثا: الأول: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني، كما أخبر عنهم، والثاني: لو كانت السماوات والأرضون وما فيهما في موازينهم، لا ستقللتها لهم، والثالث: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه، يعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟)(١).

ويصف الله تعالى عباده المتهجدين الساجدين في آناء الليل، الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، كما يتجافى جنب الانسان عن النوم إذا كان نائماً على أرض ذات شوك، كذلك ينفرون من النوم، ويثبون لنافلة الليل.

يقول تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ السجدة/١٦-١٧.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

(ما من حسنة إلا لها ثواب مبّين في القرآن إلا صلاة الليل، فإن الله عز اسمه لم يبينها لعظم خطرها «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين»)(٢).

---

(١) أخرجه المجلسي في البحار ٧٠: ٢٨/٢٦، عن مسكن الفؤاد، وأخرجه الفيض الكاشاني في المحجة البيضاء ٥٨/٨.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣/٨.

وعن الشيخ ورام بن أبي فراس في تنبيه الخواطر: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (صلاة الليل مرضاة الرب، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الايمان، وراحة الأبدان، وكراهية الشيطان، وسلاح على الأعداء، وإجابة للدعاء، وقبول الاعمال، وبركة في الرزق، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج في قبره، وفراش من تحت جنبه، وجواب مع منكر ونكير، ومؤنس وزائر في قبره الى يوم القيامة، فإذا كان اليوم كانت الصلاة ظلا فوقه، وتاجا على راسه، ولباسا على بدنه، ونورا يسعى بين يديه، وسترا بينه وبين النار، وحجة للمؤمن بين يدي الله تعالى، وثقلا في الميزان، وجوازا على الصراط، ومفتاحا للجنة، لأن الصلاة تكبير وتحميد وتسبيح وتجميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وإن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها)(١).

وروى الحسن بن ابي الحسن الديلمي في إرشاد القلوب مثله(٢).

---

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ٣٣٥/٦-٣٣٦ عن تنبيه الخواطر للشيخ ورام ابن ابي فراس ورواه المجلسي في البحار: ١٦١/٨٧ ح٥٢ عن ارشاد القلوب ص١٩١ والشيخ ورام بن ابي فراس في تنزيه الخواطر.

(٢) ارشاد القلوب للحسن بن ابي الحسن الديلمي: ١٩١.

ساعة الاجابة:

روى ثقة الاسلام الكليني عن عمر بن أذينة عن الإمام الصادقعليه السلام بسند صحيح: إن في الليل ساعة ما يوافقها عبد مسلم، ثم يُصَليّ ويدعوا الله عز وجل فيها إلا استجاب له في كل ليلة.

قلت: أصلحك الله، وأي ساعة من الليل؟

قال: إذا مضى نصف الليل وهي السدس الأول من أول النصف الباقي(١).

المقام المحمود:

ومن خلال نافلة الليل يعرج المؤمنون الى (المقام المحمود) الذي عرج اليه رسول اللهصلى الله عليه وآله من قبل.

يقول تعالى:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾الإسراء/٧٩.

وما ادارك ما المقام الذي يحمده الله تعالى ويَعِدُ به عبده وحبيبه ورسوله محمداًصلى الله عليه وآله...

وناهيك بذلك، ولا ينال المؤمنون هذا المقام المحمود تبعاً لرسول اللهصلى الله عليه وآله إلاّ بنافلة الليل والتهجد في أناء الليل.

---

(١) اصول الكافي: ٤٧٨/٢ والمقصود السدس الأول من النصف الثاني من الليل.

سأل رجل علي بن ابي طالبعليه السلام عن قيام الليل بالقرآن فقال... ومن صلى ليلة تامة تالياً لكتاب الله، راكعاً وساجداً وذاكراً... يقول الرب تبارك وتعالى: يا ملائكتي أنظروا الى عبدي أحيى ليلة إبتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس وله فيها جميع ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين، وما لا يخطر على بال سوى ما عددت له من الكرامة والمزيد والقربة(١).

وقد روى أن صلاة الليل سراج لصاحبها في ظلمة القبر(٢).

وعن رسول اللهصلى الله عليه وآله: «أشراف أمتيّ حملة القرآن واصحاب الليل»(٣).

الأسحار:

وأعظم ما يكون الوقت عند الله، وأكثر ما يكون حظه من نزول الرحمة في الاسحار... فإن الاسحار من أعظم منازل رحمة الله.

وللاستغفار في الاسحار نكهة وأثر ليس في غيرها، والاستغفار على كل حال حسن جميل يحبه الله تعالى، ولكن للاستغفار في الاسحار نكهة خاصة متميزة وموقع متميز خاص ليس لغيرها.

(١) بحار الأنوار: ١٨٦/٨ ح١٥١.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٠/٨٧.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ٣٠٥.

يقول تعالى في صفة المتقين ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾آل عمران/١٥-١٧.

وقد روى عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام: «من قال في وتره إذا اوتر (في صلاة الليل) (أستغفر الله وأتوب اليه) سبعين مرة وهو قائم فواظب على ذلك حتى تمضي له سنة كتبه الله من المستغفرين بالاسحار ووجبت له المغفرة من الله»(١).

وروى عن ابي عبد الله عليه السلام ايضاً: «إن من أستغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية»(٢).

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾الذاريات/١٥-١٨.

عن ابي الصباح الكناني عن ابي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل يحب من عباده المؤمنين كل دعّاء (كثير الدعاء)، فعليكم بالدعاء في السحر الى طلوع الشمس. فإنها ساعة تفتح

---

(١) كنز الدقائق: ٣٤/٣ ونور الثقلين: ٣٥٩/١.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٤١٥/٢. ومجمع البيان: ٢٢٧/٢.

فيها ابواب السماء، وتقسم فيها الارزاق، وتقضي فيها الحوائج العظام(١).

وروى الكليني عن الفضل بن أبي قره عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير وقت دعوتم الله فيه الاسحار، وتلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام (سوف استغفر لكم ربي) قال أخرهم الى السحر(٢).

(١) الكافي للشيخ الكليني: ٤٧٨/٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ٤٧٧/٢.

٢- المكان

كما إن في الزمان مواطن خاصة لنزول رحمة الله، كذلك في المكان منازل خاصه برحمة الله تعالى ومن هذه المنازل:

المساجد:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر (رضوان الله عليه) يا ابا ذر إن الله تعالى يعطيك ما دمت جالساً في المسجد، بكل نفس تنفست درجة، وتصلي عليك الملائكة وتمحي عنك عشر سيئات(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: عليكم باتيان المساجد فأنها بيوت الله في الأرض. ومن أتاها متطهراً طّهره الله من ذنوبه وكُتِبَ من زواره، فاكثروا فيها الصلاة والدعاء(٢).

وادي عرفه:

روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال سأله رجل في المسجد الحرام: من أعظم الناس وزرا؟ فقال من يقف بهذين الموقفين: عرفة والمزدلفة، وسعى بين هذين الجبلين ثم طاف بهذا البيت وصلى خلف

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣٦/٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ٣٨٤/٨٣.

مقام إبراهيم عليه السلام ثم ظن إن الله لا يغفر له فهو أعظم الناس وزراً(١).

الحرمان الشريفان

روى ابن قولوية في كامل الزيارات بسنده عن مرازم. قال: سألت ابا عبد الله الصادق عليه السلام عن الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلاة في مسجدي تعدل الف صلاة في غيره، وصلاة في المسجد الحرام تعدل الف صلاة في مسجدي(٢). (١٠٠٠×١٠٠٠= ١٠٠٠٠٠٠).

وروى عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام: قال ابو عبد الله لابن ابي يعفور: أكثر من الصلاة في مسجد رسول الله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال صلاة في مسجدي هذا كالف صلاة في مسجد غيره، إلا المسجد الحرام، فإن صلاة في المسجد الحرام تعدل الف صلاة في مسجدي(٣).

---

(١) من لا يحضره الفقيه باب مسائل الحج. وسائل الشيعة كتاب الحج والكافي: ٧٦٦/٤ باب النوادر.

(٢) كامل الزيارات لابن قولوية: ١٦ منشورات مكتبة الصدوق: ١٣٧٥ هـ ش.

(٣) كامل الزيارات: ص١٧.

مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف:

روى الشيخ الطوسي بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: (من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه وهو يعترف بإمامته... بعث من الآمنين، وهُوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة)(١).

المسجد الجامع بالكوفة ومسجد السهلة:

روى ابن قولوية في كامل الزيارات عن نجم بن حطيم عن ابي جعفر عليه السلام قال: «لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدوّا له الزاد والراحلة من مكان بعيد»(٢).

«وروى ابن قولوية في كامل الزيارات عن محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار عن ابيه عن جده عن الحسن بن محبوب عن حنان بن سدير. قال: كنت عند ابي جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل فَسَلّم وجلس، فقال له ابو جعفر: من أي البلاد أنت؟ فقال الرجل: أنا من أهل الكوفة، وانا لك محب موال.

فقال له ابو جعفر عليه السلام: أتصلي في مسجد الكوفة كل صلاتك؟ قال الرجل: لا فقال له ابو جعفر أنك لمحروم من الخير»(١).

---

(١) بشارة المصطفى وبحار الأنوار: ١٧٧/٥٨ ووسائل الشيعة: ٣٦٥/١٤.

(٢) كامل الزيارات: ٢٤.

وروى ابن قولوية عن الحسن بن علي بن مهزيار عن ابيه عن الحسن بن سعيد عن ظريف بن ناصح عن خالد القلانسي قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: صلاة في مسجد الكوفة الف صلاة(٢).

وروى ابن قولوية عن محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار عن ابيه عن جده علي بن زيار عن عثمان بن عيسى عن محمد بن عجلان عن مالك بن ضمرة العنبري. قال لي أمير المؤمنين عليه السلام اتخرج الى المسجد الذي ظهر دارك تصلي فيه (أي مسجد السهلة كما في المزار الكبير لابن المشهدي. فقلت له يا أمير المؤمنين ذاك مسجد تصلي فيه النساء.

فقال لي يا مالك ذاك مسجد ما اتاه مكروب قط فصلي فيه فدعا الله الا فَرّج الله عنه وأعطاه حاجته)(٣).

الحائر الحسيني:

هو المكان الذي حار الماء فيه عند قبر الإمام الحسين عليه السلام كما ذكر الشهيد في الذكرى، عندما أمر المتوكل العباسي باطلاق الماء عليه وكربه لأخفاء معالم القرب الشريف، ومنع الناس عن زيارته، فلما بلغ الماء هذا الموضع حار الماء وعنده، ولم يتقدم (حار الماء بمعنى رجع).

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧.

(٢) كامل الزيارة لابن قولوية: ٢٧.

(٣) كامل الزيارة لابن قولوية: ٢٨.

وموقع هذا الموضع أطراف القبر الشريف والحرم المحيط به، وجزء من الصحن المحيط بالحرم.

ولهذا الموقع فضل عظيم وقيمة كبيرة عند الله.

روى ابن قولوية بسند صحيح عن اسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: (موضع قبر الحسين عليه السلام روضة من رياض الجنة. وقال موضع قبر الحسين عليه السلام ترعة من ترع الجنة)(١).

وروى ابن قولوية إن أبا الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام مرض فطلب من أبي هاشم الجعفري أن يذهب الى الحائر الحسيني في كربلاء فيدعو له بالشفاء، يقول ابو هاشم الجعفري فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع بالحائر، وهو الحائر.

فدخلت عليه فلما أردت القيام قال لي: أجلس. فلما رأيته أنس بس ذكرت له قول علي بن بلال. فقال لي الا قلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالكعبة ويقبل الحجر، وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة الكعبة، وأمره الله أن يقف بعرفة.

إنما هي مواطن يحب الله أن يذكر فيها. فأنا أحب أن يدعى لي حيث يحب الله أن يُدْعى فيها، والحائر الحسيني من تلك المواضع(٢).

---

(١) كامل الزيارات لابن قولوية: ٢٨٤ مكتبة الصدوق- طهران ١٣٧٥هـ

(٢) كامل الزيارات لابن قولوية: ٢٨٦-٢٨٧ مكتبة الصدوق- طهران.

وقد روى أنّ الله عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته والشفاء في تربته، واجابة الدعاء عند قبره(١).

وفي روايات آخرى: (وأن لاتُعَدُّ أيام زائريه من أعمارهم)(٢).

(١) امالي الطوسي: ٣٦٠. بحار الأنوار: ٢٣٤/٩٨. بحار الأنوار: ٣١٨/٩٩.

(٢) وسائل الشيعة: ٥٣٧/١٤.

٣- الانسان

الانسان من منازل رحمة الله وكرامته

وعندما نقول الانسان، نقصد به الانسان الذي يقيم وجهه للدين الحنيف الذي فطر الله تعالى الناسِ عليها.

﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾الروم/٣٠.

فإذا أنحرف الانسان عن هدى الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها، وهداه اليها بأنبيائه ورسله وكتبه، وأشرك بالله وظلم، وأفسد في الأرض، وفقد ما آتاه الله في قلبه من البصيرة والسمع، وما آتاه الله تعالى من العقل والوعي، فهو دابة كسائر الدواب على الأرض، بل شرها ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾الأنفال/٢٢.

وليس هو الانسان الذي أكرمه الله تعالى وجعله خليفته في الأرض ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾البقرة/٣٠.

فإذا فقد خلافة الله في الأرض، وخان الأمانة التي تحَّمله عندما أبت السماوات والأرض من أن يحملنها فليس من (الانسان في شيء) وأنما كان الظلوم الجهول، الذي ظلم نفسه، فخسر ما آتاه الله تعالى من مواهب رحمته وجهل قيمته عند الله.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾الأحزاب/٧٢.

فإذا استقام الانسان على هدى الله وخط الفطرة، وأقام الصلاة، ونهض بدور خلافة الله في الأرض، وأدّى الامانة التي عهد بها الله تعالى اليه، فهو من منازل رحمة الله وكرامته ومن أعظم منازل رحمة الله، وهو أشرف من الكعبة التي شرفها الله تعالى تشريفاً عظيماً.

روى أنَّ رسول اللهﷺ كان يطوف بالكعبة وهو يقول: «لقد شّرفك الله وعظمك، والمؤمن أعظم حرمة منك»(١).

ولما افتتح النبيﷺ مكّة واستقبلها (الكعبة) بوجهه، قال: «أنت حرام، ما أعظم حرمتك، وأطيب ريحك، وأعظم حرمة عند الله منك المؤمن(٢).

ولقد كرّم الله تعالى الانسان بما وهبه من المواهب الكريمة الشريفة العظيمة، فهو عند الله من منازل رحمته وكرمه.

ومن أعظم ما وهب الله تعالى الانسان من كرائم المواهب:

أ- الإيمان والتوحيد والأخلاص.

ب- التقوى والورع.

ج- العمل الصالح.

---

(١) كنز العمال: ١٦٤/١ الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ٨٢/١ و٢٩٢/٣ والمجمع الاوسط للطبراني: ٢١٥/١.

د- الاستقامة على الحق.
ه- الذكر والصلاة والسجود وقراءة القرآن.
و- الفقر والحاجة والدعاء والاضطرار الى الله.
ز- الاستغفار والتوبة.
ح- ذو الشيبة في الاسلام.
ط- تجمع المؤمنين.

ومواهب اخرى منحها الله تعالى للانسان لا يسعنا إحصائها في هذا المقال وكل هذه المواهب من منازل رحمة الله تعالى في حياة الناس، أعدّها الله تعالى للإنسان ليطلب عندها رحمته تعالى وكرمة.

واليك التذكير بهذه المنازل على نحو الاجمال منزلاً بعد منزل.

١ـ الإيمان

من منازل رحمة الله في حياة الانسان.

يقول تعالى: ﴿**رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾آل عمران/١٩٣-١٩٤.

يعلمنا الله تعالى: إن نتوسل اليه تعالى بايماننا به تعالى، ونستنزل به بركاته ورحمته تعالى.

فقد سمعنا رسول اللهﷺ ينادي بالإيمان فآمنا. وقد وعدنا ربنا أن يغفر لنا ذنوبنا، إذا آمنا، ويستر علينا عيوبنا وسيآتنا، ويلحقنا بالصالحين، ووعدنا الله إن آمنا أن يرزقنا ما وعدنا على لسان انبياء من نصر ورزق وتمكين وسلطان على وجه الأرض، وغفران ورضوان في الآخرة.

ثم تقول في نهاية هذا التوسل (أنك لا تخلف الميعاد).

إذن الإيمان منزل لكثير من البركات في حياة الأنسان.

٢ـ التوحيد

من منازل رحمة الله: التوحيد

وكلمة (لا اله الا الله من أعظم منازل بركاته ورحمته في حياة الانسان)

عن عبد السلام بن صالح أبي الصلت الهروي قال: كنت مع علي بن موسى الرضا‌عليه‌السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمد بن رافع وأحمد بن الحرث ويحيى بن يحيى واسحاق بن راهويه وعدة من أهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته المربعة فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك فأخرج رأسه من العمارية وعليه مطرف خزذو وجهين وقال حدثنا أبي العبد الصالح موسى بن جعفر‌عليه‌السلام قال: حدثني أبي الصادق جعفر بن محمد‌عليه‌السلام قال: حدثني ابي أبو جعفر بن علي باقر علوم الأنبياء‌عليه‌السلام قال: حدثني أبي علي بن الحسين سيد العابدين‌عليه‌السلام حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين‌عليه‌السلام قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام قال: سمعت النبيﷺ يقول سمعت جبرائيل

يقول: قال الله جل جلاله: أني أنا الله لا اله الا انا فاعبدوني. من جاء منكم بشهادة أن لا اله الا الله بالاخلاص دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمن من عذابي(١).

وعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام: اربع من كن فيه كتبه الله من أهل الجنة. من كانت عصمته شهادة أن لا اله الا الله، ومن إذا أنعم الله عليه قال الحمد لله، ومن إذا أصاب ذنبا قال: استغفر الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وانا اليه راجعون(٢).

والحديث دقيق (من كانت عصمته شهادة أن لا اله الا الله)

ويعني ذلك. أنّ شهادة أن لا اله الا الله كانت تعصمه عن الذنوب والمعاصي.

وعن جابر بن عبد الله الانصاري، قال: الموجبتان: من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة ومن مات يشرك بالله دخل النار(٣).

٣ـ الاخلاص

وهو أن يخلص الانسان عمله لله تعالى.

وللأخلاص بركات عظيمة في حياة الانسان، يستنزل به صاحبه رحمة الله وكرامته وفضله.

---

(١) عزن اخبار الرضا للشيخ الصدوق: ١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٤٨. ومستدرك الوسائل: ٤٨٥/٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠٢/٩٠.

(٣) بحار الانوار: ٢٠٢/٩٠.

في عيون اخبار الرضا بسنده المتصل قال: حدثنا علي بن موسى الرضاعليه السلام عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه عن جابر بن عبد الله عن عليعليه السلام قال: «ما أخلص عبد لله اربعين صباحاً الا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١).

وروى ابن فهد الحلي في عدة الداعي مرسلاً عن رسول اللهصلى الله عليه وآله: من أخلص لله اربعين يوماً فجرّ الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه(٢).

والكلمات الواردة في الاحاديث في هذا الشأن دقيقة، تفتح على الانسان آفاقاً من التفكير لا يسعنا الآن أن نتوقف عندها، واليك الخلاصة:

أ- إن الله تعالى أودع في قلب الانسان ينابيع وخزائن من الوعي والبصيرة والحكمة.

ب- والاخلاص يفجر هذه العيون والينابيع ويجففها الشرك والرياء والبطر والأعراض عن الله.

ج- فإذا تفجرت ينابيع الحكمة والوعي والبصيرة في قلب الانسان جرت عندئذ على لسانه، كما يتدفق الماء من جوف الارض على سطحها فيجري على الأرض، فتخضر به الأرض وتعشوشب، وتعطي الثمار الطيبة المباركة، كذلك تجري الحكمة على لسان المخلصين فتعمر بها حياة الناس ويصلح بها دنياهم وآخرتهم.

---

(١) عيون اخبار الرضا: ٢٥٨.

(٢) عدة الداعي: ١٧٠.

وفي القرآن نجد، في هذا السياق، كلمتين:

المخلِصون (بكسر اللام) والمخلَصون (بفتح اللام): والمخلصون (بالكسر) الذين يخلصون اعمالهم لله والمخلصون (بالفتح) الذين صفت لهم أنفسهم من درَنَ الشرك والرياء والانشغال بغير الله، فهؤلاء خالصون ومخلصون... وهذه مرحلة خلوص الأنفس لله، وهي تأتي في الرتبة بعد مرحلة خلوص العمل لله.

ولهذا الخلوص بركات واثار عظيمة في حياة الانسان يذكرها القرآن.

من هذه البركات: أنهم لا يحضرون للحساب عند ما يُحضِرُ الله عباده جميعاً للحساب.

يقول تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ، فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾الصافات/١٢٧-١٢٨....هذا أولاً.

وثانياً: أن كل ما يرزق الله عباده من رزق ونعيم في الجنة، يتناسب مع اعمالهم، ولست اقول يساوي أعمالهم، فيثيبهم الله بأعمالهم، ويرزقهم في درجات الجنة بتناسب اعمالهم، إلا المخلصَين (بالفتح)، فإن الله تعالى يعطيهم بمقاييس وموازين اخرى، غير موازين أعمالهم، وهو ما يخفى على تصوراتنا المحدودة في هذه الدنيا.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾الصافات/ ٣٩-٤٠.

وثالثاً: يتحرر اصحاب الخلوص من كل سلطان للشيطان، بشكل مطلق، فلا يتمكن الشيطان من أن يدنو منهم، ولا يبقى

له فيهم مطمع، على الاطلاق، فإن سلطان الشيطان على الناس بقدر ما يشوب قلوبهم من الشرك ودرن الدنيا والاعمال، فإذا خلصت نفوسهم من كل وليجه شرك، او درن، فلا يبقى للشيطان نفوذ وسلطان على قلوبهم اطلاقاً.

ونقراء في القرآن قسماً وعهداً لإبليس لعنه الله أن يُغْوي الناس جميعاً، ولم يستثن من هذا الاغواء الواسع الاّ عباد الله المخلصَين (بالفتح).

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ص/٨٢-٨٣.

٤ـ التقوى والورع:

من اعظم منازل رحمة الله (التقوى) والورع عن محارم الله، والالتزام بحدود الله تعالى.

ونقراء في كتاب الله تعالى في سورة الطلاق:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ الطلاق/٢-٣.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ الطلاق/٤.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ الطلاق/٥.

ويقول تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾** الاعراف/٩٦.

ولأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كلام خاطب به أبا ذر (رضوان الله عليه) عندما أبعده عثمان الى الربذة، عندما كان من أمر ابي ذر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشام والحجاز ما كان، مما أزعج القوم المبذرين في اموال بيت المال، فأبعده عثمان الى الربذة، فودعّه أمير المؤمنين عليه السلام وولداه الحسن والحسين عليهما السلام وبعض اصحابه.

(فقال له أمير المؤمنين يا ابا ذر إنّك غضبت لله، فارج من غضب له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في ايديهم ما خافوك عليه، واهرب بما خفتهم عليه، فما أحوجهم الى ما منعتهم، وما اغناك عما منعوك، ولو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقا، ثم اتقى الله، لجعل الله له منها مخرجاً)(١).

أن العبد اذا أتقى الله تعالى فإن الله تعالى يفرج عنه الازمات، ولا يقع في طرق مسدود في حياته، الا ويفتح الله الطريق، ويجعل له من امره فرجا ومخرجا.

٥ـ العمل الصالح:

العمل الصالح من منازل رحمة الله في حياة الانسان، وهو ينفي عنه الخوف والحزن، يوم يخاف الناس ما يقدمون عليه، ويحزنون على ما فاتهم من فرض التقوى والذكر والعمل الصالح.

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٢٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾البقرة/٦٢.

وقد وعد الله عباده أن يرزقهم الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾النحل/٩٧.

ويرزقهم الله تعالى أحسن الجزاء، وييسر لهم القول والحساب يوم القيامة.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾الكهف/٨٨.

ويغفر الله الذنوب للذين آمنوا وعملوا الصالحات: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾طه/٨٢.

وأعظم من ذلك كله: إن الله تعالى يبدل سيئات الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى حسنات، إذا تابوا.

وقد جعل للتوبة هذا الاثر التغييري العجيب في تبديل السيئات الى الحسنات.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾الفرقان/٧٠..

٦ـ الاستقامة على الحق:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ فصلت/٣٠.

٧ـ الذكر:

إن أول ما يرزق الله تعالى الذاكرين أنّ يذكرهم الله، وهنيأ لمن يذكرهم الله تعالى ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾البقرة/١٥٢.

ويفلح من يذكر الله تعالى ويتزكى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾الاعلى/١٤-١٥.

وذكر الله يبعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين.

﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾الرعد/٢٨.

وأعد الله تعالى للذاكرين والذاكرات مغفرة وأجراً عظيما ﴿**الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾الأحزاب/٣٥.

٧ـ الصلاة:

إن الصلاة لقاء العبد بالله تعالى.

ومن يقم الصلاة يكسب محبة الله، ويستر الله عليه عيوبه وسّيآته، ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار.

﴿وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾المائدة/١٢.

والصلاة تذهب بالسيئات وتقي صاحبها السيئات.

اما اولاً فهو قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾هود/١١٤.

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾الرعد/٢٢.

واما ثانيا فهو قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾العنكبوت/٤٥.

ولكل فريضة دعاء مستجاب كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله «من أدىّ فريضة فله عند الله دعوة مستجابه»(١).

في خصال الصدوق بسنده المتصل عن ضمرة بن حبيب. قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الصلاة، فقال صلى الله عليه وآله: الصلاة من شرائع الدين، وفيها مرضاة الرب جل جلاله، وهي منهاج الأنبياء، وللمصلي حبّ الملائكة، وهدى وإيمان، ونور المعرفة، وبركة في الرزق، وراحة للبدن، وكراهة للشيطان، وسلاح على الكافر، وإجابة للدعاء، وقبول للأعمال، وزاد للمؤمن من الدنيا

---

(١) بحار الأنوار: ٣٤٤/٩٠.

الى الآخرة، وشفيع بينه وبين ملك الموت، وأُنس في قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب لمنكر ونكير، وتكون صلاة العبد عند المحشر تاجاً على راسه، ونوراً على وجهه، ولباساً على بدنه، وستراً بينه وبين النار، وحجة بينه وبين الرب جل جلاله، ونجاة لبدنه من النار، وجوازاً على الصراط، ومفتاحاً للجنة، ومهوراً لحور العين، وثمناً للجنة. بالصلاة يبلغ العبد الى الدرجة العليا، لأن الصلاة تسبيح وتهليل وتحميد وتكبير وتمجيد وتقديس وقول ودعوة(١).

وعنهﷺ: الصلاة عمود الدين، وفيها عشرة خصال: زين الوجه، ونور القلب، وراحة البدن، وأُنس القبور، ومنزل الرحمة، ومصباح السماء وثقل الميزان، ومرضاة الرب، وثمن الجنة، وحجاب من النار، ومن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين(٢).

وعن رسول اللهﷺ: إن لله تبارك وتعالى ملكاً يأخذ البراءات للمصلين عند كل صلاة من رب العالمين جل جلاله، فإذا أصبح المؤمنون وقاموا وتوضؤوا وصلوا صلاة الفجر أخذ من الله جل جلاله براءة لهم مكتوب فيها: أنا الله الباقي عبادي وإمائي في حرزي جعلتكم، وفي حفظي وتحت كنفي صيرتكم، وعزتي لا خذلتكم.

---

(١) خصال الصدوق: ٥٢٢ ج١١.

(٢) الاثنى عشرية: ٣٢٧.

فإذا كان وقت الظهر فقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لهم من الله جل جلاله البراءة الثانية مكتوب فيها: أنا الله القادر، عبادي وإمائي بدلت سيئاتكم حسنات، وغفرت لكم السيئات، وأحللتكم برضائي عنكم دار الجلال.

فإذا كان وقت العصر فقاموا وتوضؤوا وصلّوا أخذ لهم من الله جل جلاله البراءة الثالثة مكتوب فيها: أنا الله الجليل جل ذكري وعظم سلطاني، عبيدي وإمائي حرمت أبدانكم على النار، وأسكنتكم مساكن الأبرار، ودفعت عنكم برحمتي شر الأشرار.

فإذا كان وقت المغرب فقاموا وتوضؤوا وصلّوا أخذ لهم من اله جل جلاله البراءة الرابعة مكتوب فيها: أنا الله الجبار الكبير المتعال، عبيدي وإمائي صعد ملائكتي من عندكم بالرضا، وحق علي أن أرضيكم واعطيكم يوم القيامة منيتكم.

فإذا كان وقت العشاء فقاموا وتوضؤوا وصلّوا أخذ من الله جل جلاله لهم البراءة الخامسة مكتوب فيها: أني أنا الله لا إله غيري ولا رب سواي، عبادي وإمائي في بيوتكم تطهرتم، وإلى بيوتي مشيتم، وفي ذكري خضتم، وحقي عرفتم، وفرائضي أديتم، أشهدكم وسائر ملائكتي أني قد رضيت عنهم.

فينادي الملك بثلاث أصوات كل ليلة بعد صلاة العشاء: يا ملائكة الله، إن الله تبارك وتعالى قد غفر للمصلين الموحدين، فلا يبقى ملك في السماوات السبع إلا استغفر للمصلين ودعا لهم بالمداومة على ذلك.

٨ـ السجود:

ورد في الرواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل على أسامة بن زيد. فقال: يا أسامة عليك بالسجود، فانه أقرب ما يكون العبد من ربه، وما من عبد سجد لله سجدة إلاَ كتب له بها حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له بها درجة وأقبل الله عليه بوجهه، وباهى به الملائكة(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد وذلك قوله تعالى: ﴿**واسجد وأقترب**﴾(٢)..

وإذا كان الانسان أقرب ما يكون الى الله تعالى في السجود فعليه أن يطيل السجود.

روى الشيخ الطوسي كما في الامالي عن هشام عن ابي عبد الله عليه السلام قالوا أن قوما أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أضمن لنا على ربك الجنة. قال:، فقال: على أن تضمنوا لي طول السجود(٣).

---

(١) التحصين لابن فهد الحلّي تحقيق مدرسة الإمام المهدي قم ص١٥ ورواه المجلسي في البحار: ١٦٣/٨٢ ٢٠٣/٨٣ ووسائل الشيعة: ٣٧١/٦. ورواه البزار في سنده: ٢٥٩/١ و٤٧٧/٢ ومسند ابن ابي شيبة: ٤٠٤/١٣ و١٤٧/٧ وتعظيم قدر الصلاة للمروزي: ٣٣١.

(٢) عيون اخبار الرضا: ٧/٢ ج١٥. (ملاحظة: الآية الكريمة من موارد السجدة الواجبة في القرآن)

(٣) الامالي للشيخ ابي جعفر الطوسي: ٢٥٥/٢ دار الثقافة قم ١٤١٤هـ

وروى ثقة الاسلام الكليني في الكافي بسند صحيح عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: مَرَّ بالنبي صلى الله عليه وآله رجل، وهو يعالج بعض حجراته.

فقال يا رسول الله إلا اكفيك؟

فقال: شأنك. فلما فرغ. قال: حاجتك؟

قال الجنة. فاطرق رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: نعم.

فلما ولى، قال: يا عبد الله أعنا بطول السجود(١).

وإذا كان الانسان أقرب ما يكون العبد الى الله في سجوده فعليه بالدعاء والرجاء والسؤال من الله في السجود.

عن عبد الله بن ميمون، قال: شكوت الى ابي عبد الله تفرق أموالنا وما دخل علينا. قال: فعليك بالدعاء وأنت ساجد، فإن أقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد(٢).

وعن ابي بصير قال ابو عبد الله عليه السلام: أقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد، فادع الله واسأله الرزق(٣).

وعن سعيد بن يسار، قلت لابي عبد الله عليه السلام: ادعو وأنا راكع او ساجد؟

---

(١) الكافي للكليني: ٣٢٠/٣ ورواه الشهيد الأول(رضوان الله عليه) في كتابه (الاربعون) ٦٩. ورواه المجلسي(رض) في بحار الأنوار: ١٦٥/٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢١٦/٨٣ وروى مثله عن الوشاء عن الرضا عليه السلام في ١٦٣/٨٥ من بحار الأنوار.

(٣) نفس المصدر: ٢١٦/٨٣.

قال: نعم، أدع وانت ساجد، فإن أقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد، أدع الله عز وجل لدنياك وآخرتك(١).

يقول المولى العارف قرة عيون العارفين الملكي التبريزي رحمه الله في كتاب (المراقبات):

قد مضى في أخبار فضائل الشهر إيصاء النبي صلى الله عليه وآله بطول السجود، وهو أمر مهمّ، وهو أقرب هيئات العبودية، ولذا جعل في كل ركعة مرتان وغيره مرة واحدة، وقد نقل عن أئمتنا عليهم السلام وعن خواص شيعتهم في طول السجود أمر عظيم وقد عدّ للسجاد عليه السلام في بعض سجداته ألف مرّة: لا اله الا الله حقاً حقاً الى آخرة، وأن الكاظم عليه السلام يقرب طول سجوده من أول اليوم الى صلاة الظهر ونقل عن ابن ابي عمير وجميل وخربوذ ما يقرب من ذلك.

وكان لي شيخ جليل أيام تحصيلي في النجف الأشرف، وكان مرجعاً للأتقياء من طلبة زمانه في التربية. سألته عما جرّبه من الأعمال البدنية في تأثير حال السالك الى الله، فذكر أمرين:

أحدهما: أن يسجد في كل يوم وليلة سجدة واحدة طويلة، ويقول فيها: ﴿**لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ الأنبياء/٨٧.

يقصد بذلك أنّ روحي مسجونة في سجن (الهوى) والطبيعة، ومقيدة بقيود الأخلاق الرذيلة، وإني بأعمالي جعلت نفسي مسجونة في هذا السجن، ومقيدة بهذه القيود، وأنزه ربي

(١) بحار الأنوار: ١٣٢/٨٢.

من أن يكون هو الذي فعل بي ذلك ظلماً، وأنا الذي ظلمت نفسي، وأوقعتها في هذه المهالك. وكان يوصي أصحابه بهذه السجدة، وكان كل من يعمل بها يعرف تأثيرها في حالاته لا سيما من كان طول سجوده أكثر، وكان بعض أصحابه يقول ذلك ألف مرّة، وبعضهم أقلّ، وبعضهم أكثر، وسمعت أنّ بعضهم يقولها ثلاثة آلاف مرّة.

٩ـ قراءة القرآن:

القرآن ذكر مبارك من عند الله. مبارك على من يقرأه ومن يعمل به، ومن يحمله.

﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾الانعام/٩٢.

﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأنعام/١٥٥.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ الأنبياء/٥٠.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ص/٢٩.

ولقراءة القرآن والتدبر في آياته بركات عظيمة في حياة الانسان.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «من استضاء به(القرآن) نوّره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به انقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن إستشفى به شفاه الله، ومن آثره

على من سواه هداه الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدى به آواه الله الى جنات النعيم والعيش السليم»(١).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إذا ختم القرآن «اللهم اشرح بالقرآن صدري، واستعمل بالقرآن بدني، ونور بالقرآن بصري، واطلق بالقرآن لساني وأعني عليه ما أبقيتني»(٢).

ولان القرآن مبارك أمرنا أن نفتتح الدعاء بالقرآن. فإن قراءة القرآن تخرق حجب الظلمة بين العبد وبين الله.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من قرأ ماءة آية من القرآن، من أيّ القرآن شاء، ثم قال يا الله سبع مرات فلو دعا على الصخرة لقلعها إن شاء الله»(٣).

١٠ـ الفقر والحاجة:

أن الفقر والحاجة الى الله بحد ذاتها تستنزل رحمة الله تعالى حتى من دون وعي وسؤال ودعاء، كما أنّ الارض الواطئة تجتذب اليها المياه الجارية على وجه الأرض.

وبالعكس، الاستكبار والغرور والعناد يدفع رحمة الله تعالى ويحجب صاحبه عن رحمة الله.

إن رحمة الله تطلب مواضع الفقر والحاجة وهذه سُنة الهية شاملة.

(١) بحار الأنوار: ٣١/٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠٩/٩٢.

(٣) ثواب الاعمال للصدوق: ٥٨.

أن الطفل الضيع لا يعرف أن يعبر عن جوعه وعطشه فيلهمه الله البكاء، ويلهم أمه الحنان والرحمة اليه، لتطعمه وتسقيه وأننا لنعص الله ونذنب فتجذب ذنوبنا رحمة الله ومغفرته، كما أنّ رحمة الله ومغفرته تطلب ذنوبنا لتكفرها وتغفرها. تأملوا في هذه الآية الكريمة من (الزمر) تجدون عجباً: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾الزمر/٥٣.

إن رحمة الله تنزل على عموم المؤمنين العصاة، مالم يتكّبروا ويُصِرّوا على مواصلة الذنوب والمعاصي ولا تخص الآية خصوص المستغفرين منهم.

ولا شك أن الاستغفار من منازل رحمة الله (والمستغفرين بالاسحار) ولكن آية الزمر واضحة في أن كل ذنب وخلاف منزل لمغفرة الله، مالم يستكبر صاحبه ويصر على الخلاف والشقاق.

وأننا نقرأ هذا المعنى في الدعاء الذي يألف المؤمنون قراءته في أيام رجب بعد كل فريضة «يا من ارجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر، يامن يعطي من سأله، يامن يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة»

والفقرة الأخيرة في هذا الدعاء هو موضع الشاهد «يامن يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه»

١١ـ الدعاء:

﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾الفرقان/٧٧.

إن قيمة الانسان عند الله دعاؤه بين يدي الله، واقباله على الله بالطلب والسؤال ،فإذا عدم الدعاء، انعدمت عند الله قيمته، فلا يعبئو به الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ غافر/٦٠.

أن الدعاء موطن الاجابة وكفى، والذين يتكّبرون عن الدعاء بين يدي الله والسؤال والانابة والتضرع أولئك المعرضون عن الله، ومن يعرض عن الله يخرج عن دائرة الرحمة التي وسعت كل شيء... ومن يخرج من دائرة رحمة الله يدخل جهنم لا محالة، ذليلاً داحزا.... وهذا هو معنى آية غافر/٦٠.

١٢ـ الاضطرار:

الاضطرار من منازل رحمة الله، ومن أقرب منازل العبد الى الله، ولا يقبل العبد الى الله باضطرار، يشعر أنه لم يبق إمامه خيار الا اللجوء الى الله... إلاّ ويفتح الله تعالى عليه ابواب الرحمة، ويفرج عنه إن شاء الله، وهو قوله تعالى.

﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾ النمل/.٦٢

١٣ـ الاستغفار والتوبة:

الاستغفار من منازل رحمة الله.

يقول تعالى: ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾آل عمران/١٣٣-١٣٥.

أن هؤلاء الذين تذكرهم آية آل عمران (١٣٣-١٣٥) هم الذين تنزل عليهم المغفرة من عند الله، ويسكنهم الله جنة عرضها السماوات والأرض.

وتشمل هذه المغفرة الواسعة والرحمة الواسعة المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والذين اذا فعلوا فاحسنه ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم، ولم يصروا على ما فعلوا. يقول تعالى:

﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾النساء/١١٠.

والآية الكريمة واضحة في المقصود: أن الذين يظلمون أنفسهم ثم يستغفرون الله يجعلهم الله تعالى في منزل مغفرته ورحمته.

ويول تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾هود/٣.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾هود/ ٥٢.

١٤ـ ذو الشيبة في الاسلام:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «قال: الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، إنّه لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله. فقيل له: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: صلى الله عليه وآله أبكى ممن استحى الله منه، وهولا يستحي من الله»(١).

وعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام بسند صحيح: «إن من إجلال الله عز وجل إجلال الشيخ الكبير»(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله بسند معتبر «من عرف فضل شيخ كبير فوقره لسنة آمنه الله من فزع يوم القيامة»(٣).

---

(١) بحار الانوار:٧/٦ و١٢٧/٧٢ وسنن النبي: ٨٤. مستدرك الوسائل: ٣٩١/٨ اتحاف الخيرة المهرة ورواه ابو يعلي رقم ٢٧٦٤ والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٥٩/٥.

(٢) اصول الكافي: ٦٥٨/٢.

(٣) بحار الأنوار: ١٣٧/٧٥.

والاحاديث بهذا المضمون كثيرة

ومقتضى هذه الاحاديث أن يعرف ذو الشيبة قيمة الشيبة التي رزقهم اله في الاسلام فيحفظونها عن الذنوب والمعاصي، ويستثمروا موقعهم عند الله تعالى بالدعاء والاستغفار.

وعن رسول اللهﷺ «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هَمَّ فَرَجاً، ومن كل ضيق مخرجاً»(١).

١٥ـ الجماعة والاجتماع:

أن اجتماع المؤمنين من منازل رحمة الله، ولا يجتمع جمع من المؤمنين تتصافى قلوبهم ونياتهم، ويتحابون، في الله ويتآلفون، ويتراشدون إلا كانوا منزلا لرحمة الله ومغفرته ورضوانه.

وإنّ الله تعالى يحب إجتماع المؤمنين وتآلفهم وتعاونهم ويبغض أن يشذ احد من المسلمين عن جماعة المسلمين، ويفترق عنهم.

عن رسول اللهﷺ: «عليكم بالجماعة، واياكم والفرقة»(٢).

وعنهﷺ: «اثنان من خير واحد، وثلاثة خير من اثنين، واربعة خير من ثلاثة، فإن يد الله مع الجماعة، ولم يجمع اله امتي الا على هدى»(٣).

---

(١) بحار الانوار: ٢٧٧/٩٣.

(٢) ميزان الحكمة: ٧٦٥/١.

(٣) كنز العمال: ٢٠٥/١.

وعن امير المؤمنين عليه السلام: «الزموا السواد الاعظم، فإن يد الله مع الجماعة، واياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، فلا تكونوا أنصاف الفتن، وأعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وينبت عليه أركان الطاعة»(١).

جماعة المسلمين عاصمة:

أن جماعة المسلمين تحصن ايمان الانسان ودينه، وتعصمه.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «من خلع جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الايمان عن عنقه»(٢).

والجماعة عاصمة تعصم الانسان من الهوى والفتن والشيطان.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض»(٣).

والجماعة هي جماعة أهل الحق، وليس للباطل جماعة عاصمة.

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٢٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٠٧٧/٥ ج١١.

(٣) كنز العمال: ج١٠٢١ وميزان الحكمة: ٦٦/٢.

سأل رسول الله ﷺ عن جماعة أمته فقال ﷺ: «جماعة أمتي أهل الحق، وإن قلوّا»(١).

صلاة الجماعة:

أن حضور الصلاة في جماعة المسلمين مقياس للتقييم، وبعكسه مدعاة للشك والريب.

عن رسول الله ﷺ: «من صلى الصلاة الخمس جماعة فظنوا به خيرا»(٢).

وتحصن الانسان من النفاق والفسق والفساد.

عن رسول الله ﷺ: «من صلى اربعين يوماً في جماعة لا يفوته تكبيرة الاحرام كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»(٣).

والبراءة الاولى براءة من الفسق والفساد والثانية براءة من النفاق، وهما تتحققان في الصلاة جماعة.

وقد همَّ رسول الله ﷺ بأحراق منازل قوم كانوا يصلون في منازلهم، ولا يصلون جماعة(٤).

عن رسول الله ﷺ: «أنّ صفوف أمتي كصفوف الملائكة. والركعة، في الجماعة اربع وعشرون ركعة، فأما يوم الجمعة،

---

(١) ميزان الحكمة: ٤٦/٢.

(٢) احياء الاحياء: ٣٤٢/١.

(٣) احياء الاحياء: ٣٤٤/١-٣٤٣.

(٤) وسائل الشيعة: ٣٧٧/٥.

فما من مؤمن مشى الى الجماعة إلا خفَّف الله عليه أهوال القيامة»(١).

روى شيخنا الشهيد الثاني في شرح الارشاد عن كتاب الشيخ ابي محمد جعفر بن احمد القمي باسناده المتصل الى ابي سعيد الخدري، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرائيل بعد صلاة الظهر. فقال: يا محمد ربك يقرءك السلام، وأهدى اليك هديتين، لم يهدهما الى نبي قبلك، قلت وما تلك الهديتان؟ قال الوتر ثلاث ركعات والصلوات الخمس في جماعة، قلت يا جبرائيل ومالامتي في الجماعة؟ قال يا محمد إذا كانا اثنين كتب الله لكل واحدة بكل ركعة مائة وخمسين صلاة، وإذا كانوا ثلاثة كتب الله لكل واحدة بكل ركعة ستمائة صلاة، وإذا كانوا اربعة كتب الله لكل واحدة بكل ركعة الفا ومائتي صلاة، وإذا كانوا خمسة كتب الله لكل واحد بكل ركعة الفين واربعمائة صلاة، وإذا كانوا ستة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة اربعة الاف وثمانمائة صلاة، وإذا كانوا سبعة كتب الله لكل واحد منهم يكل ركعة تسعة آلاف وستمائة صلاة، وإذا كانوا ثمانية كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة تسعة عشر الفا ومائتي صلاة، وإذا كانوا تسعة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ستة وثلاثين الفا واربعمائة صلاة، وإذا كانوا عشرة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة سبعين الفا والفين وثمانمائة صلاة، فإذا زادوا على العشرة فلو

(١) وسائل الشيعة: ٣٧٢/٥.

صارت بحار السماوات والارض كلها مدادا والاشجار أقلاما والثقلان مع الملائكة كتابا لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة(١).

وقال شيخنا الشهيد الثاني في كتاب الروضة:

الجماعة مستحبة في الفريضة متأكدة في اليومية حتى أن الصلاة الواحدة منها تعدل خمسا أو سبعا وعشرين مع غير العالم ومعه الفا، ولو وقعت في المسجد تضاعف بمضروب عدده في عددها: ففي الجامع مع غير العالم الفان وسبعمائة ومعه مائة الف. قال وروى ان ذلك مع اتحاد المألوم فلو تعدد تضاعف في كل واحد بقدر المجموع. وروى الشهيد في النفلية عن الصادق عليه السلام «الصلاة خلف العالم بالف ركعة».

وبناءً على التفصيل الذي يذكره شيخنا الشهيد الثاني (رضوان الله عليه)

كل ركعة من الصلاة جماعة مع غير العالم يعادل ٢٧ ركعة.

وكل ركعة من الصلاة جماعة مع أمام عالم يعادل ١٠٠٠ (الف) ركعة

وكل ركعة من الصلاة جماعة مع غير عالم في الجامع يعادل ١٠٠×٢٧=٢٧٠٠.

(١) بحار الأنوار: ١٤/٨٥ وجامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: ٢٨٤/٦ ونقل قسماً من الرواية ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٧٨/٢.

وكل ركعة من الصلاة جماعة مع امام عالم في الجامع يعادل ١٠٠،٠٠٠ركعة

ذلك إذا انفرد المألوم، ومع تعدد المألوم يضرب العدد السابق في عدد المأمومين.

فإذا كان المصلون الفاً مع إمام عالم وفي الجامع

كان كل ركعة منها تعادل ١٠٠٠ «الامام العالم» × ١٠٠٠ «عدد المصلين» ×١٠٠ «الجامع» = ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ركعة.

مجالس المؤمنين:

أن مجالس المؤمنين مع مواطن رحمة الله ومن أفضلها وأجلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم روضة من رياض الجنة، فارتعوا فيها. قيل يا رسول الله: وما روضة الجنة؟ قال مجالس المؤمنين»(١).

ومن هذه المجالس التي يحميها الله تعالى، وتستنزل رحمة الله مجالس الذكر.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: « ما قعد عدة من أهل الارض يذكرون الله الا وقعد معهم عدة من الملائكة»(٢).

محمد بن علي بن الحسين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «بادروا الى رياض الجنة قيل. يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر»(١).

---

(١) بحار الانوار: ١٨٨/٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٢/٩٣.

وفي (العلل) عن يونس بن عبد الرحمن رفعه قال: قال لقمان لابنه، يا بني اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوما يذكرون الله فأجلس معهم فأنك إن تكن عالما ينفعك علمك وإن تكن جاهلا علموك، ولعل الله أن يظلهم برحمة فيعمك، معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله أن يظلهم بعقوبة فيعمك معهم(٢).

وروى احمد بن فهد في (عدة الداعي). عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه خرج على أصحابه فقال. ارتعوا في رياض الجنة، قالوا. يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر(٣).

وروى الحسن بن ابي الحسن الديلمي في كتابه، عن النبي صلى الله عليه وآله، أن الملائكة يمرون على حلق الذكر فيقومون على رؤوسهم، ويبكون لبكائهم، ويؤمنون على دعائهم(٤).

١٦ـ القلوب المتحابة تستنزل رحمة الله:

عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام: «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل اله تعالى الرحمة عليهما، فكانت تسعة وتسعين لأشدهما حبا لصاحبه، فإذا توافقا غمرتهما الرحمة، وإذا اقعدا

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢٩٣/٤ ج٦٥ ووسائل الشيعة ٢٣٠/٧.

(٢) علل الشرائع: ٣٩٤ ووسائل الشيعة: ٢٣١/٧. ومكارم الاخلاق للطبرسي ٢١١ ومشكاة الانوار ١١٢.

(٣) عدة الداعي: ٢٣٨ ووسائل الشيعة: ٢٣١/٧.

(٤) ارشاد الديلمي: ٦١.

يتحدثان قالت الحفظة بعضها لبعض إعتزلوا بنا فلعل لهما سِرّاً، وقد ستر الله عليهما»(١).

وعن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله الصادقعليه السلام: «أن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان عرضا من اعراض الدنيا قيل لهما مغفور لكما فاستانفا فإذا اقبلا على المسائلة، قالت الملائكة بعضها لبعض تنحوا عنهما، فإن لهما سِرّاً، وقد ستر الله عليهما»(٢).

١٧ـ الصدقة:

عن أمير المؤمنينعليه السلام في نهج البلاغة

الصدقة دواء منجح(٣).

استنزلوا الرزق بالصدقة(٤).

من ايقن بالخلف جاد بالعطية(٥).

من يعطي باليد القصيرة يُعْطى باليد الطويلة(٦).

---

(١) وسائل الشيعة: ٥٦٢/٨.

(٢) معالم الزلفي للبحراني: ٣٤.

(٣) الحكمة ٧ من نهج البلاغة.

(٤) الحكمة ١٣٧ من نهج البلاغة.

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾سبأ/٣٩.، اي يعوضه لكم في الدّنيا بأمثاله، ويأتيكم عليه في الآخرة بإضعافه وهي الحكمة ١٣٨ من نهج البلاغة.

(٦) الحكمة ٢٣٢ من نهج البلاغة.

إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة(١).

وعن وصيه لأمير المؤمنين عليه السلام الى ابنه الحسن المجتبى عليه السلام «واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة، وأنه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياد، قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثقل ذلك وبالا عليك، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده، واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

واعلم أن أمامك عقبة كؤودا، المخف فيها أحسن حالا من المثقل، والمبطئ عليها أقبح حالا من المسرع، وأن مهبطك بها لا محاله على جنة أو على نار، فارتد لنفسك قبل نزولك، ووطئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعتب، ولا الى الدنيا منصرف.

واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد إذن لك في الدعاء وتكفّل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يعيرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة،

---

(١) الحكمة ٢٥٨ من نهج البلاغة.

ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرا، وفتح لك باب المتاب، فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على أعطاء غيره، من زيادة الاعمار، وصحة الأبدان، وسعة الرزق.

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أُخرَّت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفي عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له»(١).

---

(١) نهج البلاغة: ٤٦/٣-٤٧-٤٨.

١٨ـ رقة القلوب:

روى الكليني بسند معتبر عن ابي بصير عن ابي عبد الله الصادقعليه السلام قال: إذا رقَّ أحدكم فليدع، فإن القلب لا يرق حتى يخلص(١).

أن القلوب ترق فتخلص من الأمراض والأدران التي تعلق بها، فتهبط عليها رحمة الله فتنتعش وترتوي، كالأرض الهشة التي ينزل عليها المطر فتخضر وتثمر، والقلوب القاسية كالأرض الصلدة التي ينزل عليها المطر، فلا ينفذ منه فيها شيء.

وعن ابي عبد الله الصادقعليه السلام قال:

«أذا اقشعر جلدك، ودمعت عينك فدونك دونك فقد قصد قصدك»(٢).

ورواه الكليني ايضاً عن علي بن حديد رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام

---

(١) الكافي: ٤٧٧/١.

(٢) الكافي: ٤٧٨/٢. دونك دونك. يعني عليك أن تغتنم فقد اصبح قريباً منك (دونك: يعني اصبح قريباً منك من الدنو اي القرب) والقصد: اتيان الشيء وقصدته وقصدت له واليه بمعنى واحد. وقصدك مفعول مطلق والظاهر أن قُصِدَ مبنى للمفعول وقصدك مفعول مطلق ينوب مناب الفاعل اي أن الله قد حقق لك قصدك وأتى لك بما تقصده وما تريده فعليك بالدعاء والالحاح والطلب واغتنام الفرصة.

١٩ـ الصلوات على محمد وآل محمد:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا كان لك الى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم سل حاجتك، فإن الله اكرم من أن يسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويمنع الاخرى»(١).

٢٠ـ حالة الاضطرار الى اللّه:

انها من منازل الرحمة بالتأكيد.

وقد نزل في ذلك قرآن من عند الله:

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ النمل/٦٢.

إنّ حالة الاضطرار الى الله تستنزل الرحمة من عند الله، ويكشف الله تعالى عن عبده السوء في حالة الاضطرار بالدعاء.

والاضطرار حالة تساقط الخيارات امام العبد إلاّ خياراً واحداً، وهو اللجوء الى الله تعالى.

ولنقرب ذلك بمثال: أن الذي يحتاج على وجه الأرض الى ماء او طعام او دواء او يسعى الى حاجة يجد أمامه خيارات كثيرة، إن سقط خيار تبقى أمامه خيارات اخرى، ولكن إذا اوقعت الطائرة في اعماق الجو في مطبه هوائية صعبة، وتعرضت لهزات تنذر بالسقوط... عندئذ تتساقط الخيارات جميعاً، ولم يبق للانسان الا خيار واحد وهو اللجوء الى الله

---

(١) نهج البلاغة الحكمة ٣٦١.

تعالى، ولو أن الناس جميعاً على وجه الأرض بقاراتها الخمسة ارادوا إنقاذه لم يتمكنوا من ذلك، ولا يبقى له الا خيار واحد، وهو اللجوء الى الله تعالى...

وهذا هو الاضطرار، وهو من منازل الرحمة، يكشف الله عنده الضر والسوء عن المؤمنين اذا دعوه ﴿**أمن يجيب المضطر...**﴾

فإن الله تعالى كاشف الضر عن المؤمنين المنكوبين المضطرين، إذا جاؤوا وصرخوا بالدعاء.

عن الإمام الباقر عليه السلام: «كان دعاء النبي صلى الله عليه وآله ليلة الاحزاب يا صريخ المنكوبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، اكشف عني غميّ وهميّ وكربي واكفني هول عدوي»(١).

وفي الخبر أن الله تعالى ناجى موسى بن عمران عليه السلام، فقال له في مناجاته: يا موسى مُرْ عبادي يدعوني على ما كان بعد أن يقَّروا لي أني ارحم الراحمين، مجيب المضطرين واكشف السوء(٢).

ودعاء المضطرين هو الدعاء المعروف بدعاء الغريق.... الذي يجاربه الغريق في عرض البحر عند ما تبتلعه الامواج، وهو لا يرجوا احداً غير الله

(١) الكافي: ٥٦١/٢ ح١٧. كامل الزيارات: ٦٤.

(٢) الكافي: ٤٨/٨ ح٨ تحف العقول: ٤٩٥.

وقد كان فيما وعظ الله به عيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى أستغث بي في حالات الشده، فإني أغيث المكروبين وأجيب المضطرين وأنا ارحم الراحمين(١).

سؤال وجواب:

وقد يتساءل احد: قد وجدنا المضطرين يدعون فلا يستجاب لهم، فإين هذا من قوله تعالى في سورة النمل: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾؟

والجواب: إنَ مثل هذا الكلام مثل من يقول اذا أجتهد الطالب في التحضير للامتحان ينجح.

وهو كلام صحيح بالتأكيد، ولكن قد يَجِدُّ ويجتهد الطالب في التحضير فلا ينجح لطارئ يطرأ عليه ساعة الامتحان فيشغل باله، ويسلب منه القدرة منه على الاجابة فلا ينجح، وقد يعيقه عائق من حضور الامتحان لسبب من الاسباب واشباه ذلك.

أن صاحب السؤال يقترض إن دعاء المضطر هو العلة التامة للإجابة... وليس الامر كذلك إن دعاء المضطر يقتضي الاجابة من عند الله وقد يكون الى جانبة موانع تمنع الاجابة... والنظام الكوني وكذلك النظام الاجتماعي لا يجري بموجب عامل وحداني كي تتحقق الاجابة بوجوده وتنتفي بانتفائه... فما أكثر من يموت تحت الانقاض في الزلازل، وبالنار في الحرائق، وغرقاً في الفيضانات، ولا ينفي ذلك دور الدعاء في حالة

(١) الكافي: ١٣٨/٨ ح١٠٣.

الاضطرار، وأنّ الله تعالى يكشف السوء عن عباده، إذا دعوه في نكباتهم.

كما لا ينفي أن يموت ناس تحت يد الاطباء ومع ممارسة العلاج وتناول الدواء... ومع ذلك فلا نخطئ لو قلنا: إن الله تعالى جعل الشفاء في الطب والدواء.

إن النظرة المحدودة التجزيئية ذات البعد الواحد الى القضايا الكونية والاجتماعية توقع الانسان في اخطاء كثيرة... والصحيح هو أن نضع القضايا الكونية والاجتماعية في اطارها الكوني او الاجتماعي الواسع، جزءاً من كل، حتى نفهم القضايا الكونية والاجتماعية فهماً صحيحاً.

تساؤل آخر:

وقد يتساءل احد أنّ الله تعالى جعل الاضطرار الى الله في الدعاء مفتاحاً للاجابة وكشف السوء.

ولكن أنىَّ للانسان ان يجعل دعاءه كله من دعاء المضطر الغريق؟

والجواب: نعم، إذا أنعم الانسان النظر في الكون والمجتمع وعلاقته بالله تعالى عرف أن الامر كله في الكون والمجتمع يجري بارادة الله تعالى ولا يشذ عن ارادته شيء حتى في الامور العادية جداً الداخلة في حياتنا اليومية كالخروج الى السوق وتناول الماء والطعام، والمخاطبة بالهاتف... فإن ذلك كله بيد الله، ولا خيار للانسان إلا أن يلجأ اليه تعالى في حاجته.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «سلوا الله كل شيء حتى الشسع (أي شسع النعل) فإنّ الله إنّ لم ييسره لم يتيسر»(١).

ولا يعني ذلك البته: أن لا يتوسل الانسان في حاجاته بالوسائل الطبيعية كالسوق والطبيب والدواء والمعلم، والقضاء، والشرطة.... فإن هذه الوسائل تأتي في أمتداد مشيئة الله تعالى، ومسخرة لأمر الله تعالى.

ولا ينافي إستخدام الوسائل الطبيعية والاجتماعية... التوحيد والاضطرار، إذا كان الانسان يعلم أنها كلها جميعاً مسخرة بأمر الله، ميسرة له بأمره واذنه.

وهذا المعنى من رقائق التوحيد، رزقنا الله تعالى وعيها وفقهها.

طوائف اخرى من منازل الرحمة في حياة الانسان:

وفي ختام هذا الحديث نذكر طائفة من النصوص عن أهل البيت عليهم السلام في أقرب احوال الانسان الى الله عز وجل.

وهذه النصوص تحدد طائفة من منازل الرحمة في حياة الانسان واحواله، والعبد مهما كان أقرب الى الله كان أقرب الى نيل رحمة الله وكرامته ورضوانه وفضله.

ونحن نشير هنا الى طائفة من هذه النصوص بقدر ما يتسع له صدر هذه المقالة.

---

(١) كشف الخفاء للعجلوني: ٦٣/٢.

١- كتب أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام كتابا الى أهل مصر عندما ولى عليهم محمد بن ابي بكر. يقول لهم فيه« يا عباد الله أن أقرب ما يكون العبد الى المغفرة والرحمة حين يعمل الله بطاعته، وينصحه بالتوبة»(١).

٢- وعن الصادقعليه السلام: «اقر ب ما يكون العبد الى الله، إذا خفَّ بطنه»(٢).

كما ورد عن ابي جعفر الباقرعليه السلام ما من شيء ابغض الى الله من بطن مملوء(٣).

٣- عن ابي الحسن موسى بن جعفرعليه السلام ... قال قال النبيصلى الله عليه وآله: أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل، إذا ادخل على قلب أخيه المؤمن مسرّة(٤).

وروى الكليني في الكافي بسند صحيح عن زيد الشحام قال: قال ابو عبد اللهعليه السلام: اطلبوا الدعاء في اربع ساعات: عند هبوب الرياح وزوال الافياء، ونزول القطر وأول قطرة من دم القتيل المؤمن فإن أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء.

---

(١) الامالي للشيخ ابي جعفر الطوسي: ٢٨ وامالي الشيخ المفيد ص١٦٥ والغارات للثقفي: ٤١٩/١.

(٢) بحار الانوار: ٣٢١/٦٣.

(٣) نفس المصدر والموضع.

(٤) بحار الانوار: ٣١٦/٧١. ومستدرك الوسائل: ٣٩٨/١٢.

وروى الكليني عن أبي العباس فضل البقباق قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: يستجاب الدعاء في اربع مواطن: في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب.

وروى الكليني عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اغتنموا الدعاء عند اربع: عند قراءة القرآن، وعند الاذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصفين للشهادة.

وروى الكليني عن عبد الله ابن عطاء، عن ابي جعفر عليه السلام قال: كان أبي إذا كانت له الى الله حاجة طلبها في هذه الساعة، يعني زوال الشمس.

وروى الكليني عن معاوية ابن عمار، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس، فإذا أراد ذلك قدم شيئاً فتصدق به وشمَّ شيئا من طيب وراح الى المسجد ودعا في حاجته بما شاء الله.

-٣-

إنتهاز الفرص

الخُسْر:

عمر الانسان رأس ماله، ومهما انقضى من عمره هلك شطراً من رأس ماله فإذا انقضى عمره كله خسر رأس ماله كله.

وذلك قوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ العصر/١-٢.

أي أن عمر الانسان في تصّرم وزوال دائم، وهو معنى الخسر، ومهما مضى من عمره يوم خسر ذلك اليوم من مما وهبه الله ن رأس المال.

هذه طبيعة (العمر): سَيّالة متصَّرمة لا يثبت للحظة واحدة... وهو رأس مال الانسان ولا يبلغ الانسان مبلغا من العمل الصالح الا به، فإذا استغله واستثمره في حينه أفلح، والا خسره، وهو ما تقرره سورة العصر ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾.

ولان عمر الانسانَ كلَ رأس ماله، فإَن خسارته خسارة للدنيا وخسارة للآخرة، فإنه يفلح في الآخرة بما استثمر من عمره في الدنيا، فإذا خسر عمره خسر الدنيا وإذا خسر الدنيا خسر الآخرة بالضرورة، وذلك هو الخسران المبين.

أن عمر الانسان في حالة تصّرم وزوال دائم وهو معنى (الخُسر) في سورة العصر.

ولكن الصالحين من الناس يعرفون كيف يحولون هذا الرأس مال السيّال المتصرّم الذي لابد أن يتصرم الى رأس مال صلب بالإيمان والعمل الصالح: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾العصر/٣.

والإيمان والعمل الصالح رأس مال صلب، لا يتصرَّم ولا يزول، ويتقدم صاحبه الى الله، فإذا مات الانسان، وأقبل على الله، وجده عنده تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾الزلزلة/٦-٧.

كما العكس ايضاً صحيح: الذين يحولون المتصرم من أعمارهم الى الذنوب والمعاصي يجدونها عند الله، على هيئة الكلمة الخبيثة: ﴿**مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾الزلزلة/٨.

﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً**﴾الكهف/٤٩.

وكلتاهما يثبتان: الكلمة الطيبة عند الله، وهي الاعمال الصالحة، والكلمة الخبيثة، وهي الذنوب والمعاصي يثبتها الله ويعاقب عليها او يعفو عنها.

والشأن كل الشأن: أن يُحوِّل الانسان رأس ماله السيال المتصرم الى راس مال ثابت صلب من العمل الصالح ويقدمه بين يدية الى الله تعالى، وكلما لا يحوله الانسان منه الى عمل صالح فهو الخسران والضياع لأعزّ رأس مال رزق الله تعالى عباده، وهو عمره، ومهما يمضي من عمر الانسان شطر يذهب شطر من هذه الفرصة المحدودة.

فإن الانسان في الحقيقة، رأس ماله الذي وهبه الله من السنين والشهور، وكلما يمضي شطر من عمره يذهب شطر من رأس ماله.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: « يا ابن آدم إنما انت مجموعة، فإذا مضى يوم مضى بعضك»(١).

وعن الحسين عليه السلام «يا بن آدم إنما انت عدد ايام، إذا مضى يوم مضى بعضك»(٢).

وهذه كلمة دقيقة معبره، ﴿**خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾الحج/١١.

الحسرة:

وليس للإنسان من وراء هذه الخسارة عودة الى الحياة الدنيا ليعوض الخسارة، فإذا فرط في عمره فلن يكون له الا الحسرة الدائمة، لا تنفك عنه ابداً.

﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**﴾الانعام/٣١.

ويحذّرنا الله تعالى من تلك الحسرة التي لا تفوقها حسرة، يوم القيامة، على ما فرط الانسان في جنب الله من عمره ودنياه ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** ﴾الزمر/٥٦.

---

(١) الكلمات القصار المنسوبة الى الإمام علي عليه السلام شرح نهج البلاغة لأبن حديد: ٣٦٩/٢٠.

(٢) نهج السعادة للشيخ المحمودي: ٣٧٥/٨.

إنّ من وراء الخُسْر، دائماً حسرة ترافق الانسان، ولا تنفك عنه، وهي من أشد العذاب الذي يلقاه الذين يفرطون في اعمارهم.

هذه الخسارة في الاعمار تتبعه خسارة في الاعمال الصالحة، وخسارة الأعمال الصالحة تتبعه خسارة في منازل الجنة.

فإذا جمع الله الناس ليوم الحشر يخسر الظالمون منازلهم التي أعدّها الله تعالى لهم في الجنة ويفوز بها الصالحون، وهو معنى(التغابن) في سورة التغابن.

فما من انسان يخلفه الله تعالى الا ويجعل له منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا جمع الله الناس ليوم الجمع فاز الصالحون بمنازل الظالمين في الجنة وشقى الظالمون بمنازل الصالحين في النار وهذا هو معنى التغابن بين الصالحين والظالمين في الآخرة.

وكأنّ الصالحين يوم القيامة يبخسون الظالمين بالفوز بمنازلهم في الجنة، وبشقاء الظالمين بالحلول في منازل الصالحين في النار... يقال غبن فلانا فلانا إذا بخسه وخسّره كما لو عاوضه سلعة بسلعة اقل منها في ثمنها... وهذا هو معنى التغابن، والله أعلم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ التغابن/٩.

وليس من وراء هذا الغبن العظيم والخسارة التي تلحق الانسان يوم القيامة الا الحسرة.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾الانعام/٣١.

وليس لهذا الخسر من جبر، وليس لهذه الحسرة من نفاذ، فلا يزال الذين فرّطوا في دنياهم في فرص رحمة الله تعالى في حسرة دائمة لا تنتهي ولا تنفذ.

يقول تعالى: **﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾**الزمر/٥٦.

إنّ هذه الحسرة التي لا نفاذ لها تلحق الإنسان بسب ما فرّط (ضيع) العبد في الفرص التي أعدّها الله تعالى له في الدنيا، وضيعها العبد بجهالته وسفهه.

وهي حسرة موجعة لا ينفك عن المسيء الذي فرّط في عمره وجعها ولوعتها.

يقول تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُول سَبِيلاً﴾**الفرقان/٢٧.

وليس بوسعهم يومئذ تدارك ما فاتهم من الفرص في حياتهم الدنيا، بعد أن قضي الأمر وانتهى... ولا عودة ولا رجوع، ولم يبق لهم الا الحسرة التي لا تفيد ولا تغني.

يقول تعالى: **﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**مريم/٣٩.

لقد كانت تمر عليهم الفرص، فرصة بعد فرصة، وكانوا عنها في غفلة... ولقد انتبهوا عن الغفلة، وكشف عنهم الغطاء **﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**ق/٢٢.

ويتمنّون أن يعودوا الى الحياة الدنيا، مَرّة اخرى ليتداركوا ما فاتهم من هذه الفرص، ولكن هيهات أن يعودوا بعد أن قضي الأمر ﴿ **قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾المؤمنون/٩٩-١٠٠.

أن هذه الحسرة الموجعة التي لا تنفد هي ثمرة التفريط في الفرص التي أعدها الله تعالى للانسان في الحياة الدنيا، وغفل عنها الانسان.

عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام:

«ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة»(١).

والحزم هو التفكير والانتباه والتأمل، وأعظم ما يصيب الانسان من الحسرة والندامة يوم يجد إمامه أهوال يوم القيامة.

عن امير المؤمنين عليه السلام: «عند معاينة الاهوال تكثر من المفرطين الندامة»(٢).

عمومية الحسرة:

من اسماء يوم القيامة: يوم الحسرة يقول تعالى: ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ**﴾مريم/٣٩.

والحسرة من أبرز المشاهد النفسية للناس يوم القيامة.

---

(١) نهج البلاغة قسم الكلمات القصار الحكمة ١٨١.

(٢) غرر الحكم: ٦٢٢.

ولا يخلوا يومئذ أحد من الحسرة، يتحسّر الصالحون: لأنهم لم يزيدوا في التمسك بالفرص التي اعدها الله تعالى لهم.

ويتحسر الظالمون، فيما فرطوا فيه من الفرص في حياتهم في جنب الله وغفلوا عنها.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله يا بن مسعود:

أكثر من الصالحات والبر، فإن المحسن والمسيء يندمان.

يقول المحسن: ياليتني ازددت من الحسنات. ويقول المسيء: قصرت، وتصديق ذلك قوله تعالى ﴿**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾القيامة/٢.(١).

وعنه صلى الله عليه وآله: «ما من أحد يموت إلا ندم أن كان محسناً ان لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً الا يكون نزع»(٢).

وقد سمعنا في الاساطير أن اسكندر المقدوني مرّ في بعض فتوحاته بأرض صخرية، تكثر فيه قطع الاحجار، وكانت ليلة باردة ظلماء، فأمر اسكندر جنده أن يحملوا معهم من أحجار هذا الوادي ما وسعهم ذلك، ولا يألوا في ذلك.

فتكاسل بعضهم أن ينزله من على فراسه، ولم يأخذ معه شيئاً من الاحجار، ونزل آخرون فأخذو معهم حجارة او حجارتين.

---

(١) مكارم الاخلاق: ٢٥٣/٢.

(٢) كنز العمال: ٤٢٧١٦.

وآخرون اخذ ملأ أكفهم، وآخرون ملاءوا بها جيوبهم، وآخرون ملاءوا بها جيوبهم وخَرجهم، واخرون ملاءوا بذلك جيوبهم وخرجهم، وكل وعاء لهم يحملونه.

فلما اصبحوا وابتعدوا عن الوادي وجدوا أن الاحجار التي حملوها معهم احجار كريمة، ذات قيمة عالية.

فعاش الجميع يومئذ الحسرة والغبن، الذين أخذوا من الاحجار ملا جيوبهم وخرجهم وكل وعاء لهم على ظهر الدابة، كانوا يتمنون لو كانوا يريدون من ذلك.

والذين قصروا كانوا يتمنون لو لم يقصروا والذين لم يحملوا معهم شيئاً منها كانوا يتحسرون على ما فاتهم من الفرصة وما اصابهم من خسارة.

ولا شك أنها اسطورة من نسج الخيال، ولكنها تنفعنا مثالاً وشاهداً على ما نقول... فإن حال الناس في الندم والحسرة يوم القيامة يشبه حال رجال هذه الأسطورة، ولذلك يسمي القرآن يوم القيامة بيوم الحسرة. يقول تعالى: ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ**﴾مريم/٣٩.

وكذلك يسمي القرآن يوم القيامة بيوم (التغابن).

يقول تعالى:

﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾ التغابن/٩.

تثبيت الفرص:

الفرص في حياة الانسان هي رأس مال الانسان الذي وهبها الله تعالى إياه.

وهو رأس مال سيّال ينفذ ويتصرم ولا يثبت على حال، سواء في ذلك عمر الانسان او الفرص الزمانية والمكانية والانسانية التي تحلّ في وعاء العمر.

وهذه السيوله في العمر هي سبب (الخُسْر) في حياة الانسان.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾العصر/٢.

أن عمر الانسانَ في تَصّرم ونفاذ دائمٍ وكذلك الفرص التي تقع في وعاء العمر.

والنفاذ والسيولة هي (الخسر):

ونتساءل الأن كيف يحوّل الانسان رأس ماله السيّال المتصرم النافذ الى رأس مال ثابت صلب، لا سبيل للسيولة والنفاذ اليه.

والجواب على هذا السؤال في سورة العصر نفسها:

﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾العصر/٣.

الايمانَ، والعَمل الصالح، والحق، والصبر، والتواصي بهما، رأس مال ثابت صلب نامي في حياة الانسان، وليس نافذاً كالعمر والفرص التي تقع وعاء العمر ليشمله قانون (الخسر) والنفاذ.

ويقدّم الانسان الايمان والعمل الصالح بين يديه الى الله، فإذا أقبل على الله وجدهما عنده تعالى.

يقول تعالى عن يوم القيامة: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾الزلزلة/٦-٧.

أن العمل، مهما صغر، وإن كان مثقال ذرة، لا ينصرم ولا ينفذ، بل يثبت حتى يقدم عليه صاحبه فيراه امامه عند الله.

يقول تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾الأنبياء/٤٧.

أن العمل الصالح مهما قل حجمه لا يضيع في موازين القسط الالهية، ويأت به الله حتى، لو كان بثقل حبة من الخردل.

ولا ينفذ، ولا ينصرم بل ينمو عند الله، فإذا اقدم عليه صاحبه وجده ناميا.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً** ﴾النساء/٤٠.

أخرج الحسين بن سفيان في مسنده وابو نعيم في الحلية عن شداد بن اوس، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اعملوا وانتم من الله على حذر، واعلموا أنّكمّ معروضون على

اعمالكم، وأنكم ملاقوا الله، لابد منه. فمن يعمل مثقال ذرة خير يره»(١).

إنتهاز الفرص:

ويتم تثبيت الفرص بانتهاز الفرص والمبادرة الى الاعمال الصالحة، ما دامت في العمر فرصة.

والنصوص الاسلامية حافلة بهذا المعنى من ذلك ماروواه المتقي الهندي

عن رسول اللهﷺ: «من فتح له باب من الخير، فلينتهزه، فإنه لا يدري متى يغلق عنه(٢).

إغتنام الفرص:

عن رسول اللهﷺ إنّ لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها(٣).

وفي بعض النصوص «ألا فترصدوا لها»(٤).

والتعبير واضح ودقيق: لابد من رصد هذه الفرص ومراقبتها حتى لا تفوت.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٩٤/٢٠..

(٢)ميزان الحكمة: ٥٤/٨. وكنز العمال: ٤٣١٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٢١/٦٨ و٣٥٢/٨٠ و٢٦٧/٨٤ و٩٥/٨٧.

(٤) غوالي اللئالي: ٢٩٦/١ وبحار الانوار: ١٦٦/٧٤.

كما لابد لها من إستعداد وقد ورد في بعض النصزص «الا فتعرضوا لها بكثرة الاستعداد»(١).

عن ابي ذر (رضوان الله عليه) في وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا ابا ذر إغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

واياك والتسويف بأملك. فإنك بيومك ولست بما بعده.

يا ابا ذر: إذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت، فلا تحدث نفسك بالصباح»(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إضاعة الفرصة عضه(٣).

التعجيل في الاعمال الصالحة:

عن ابي جعفر الباقر عليه السلام: قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله يحب من الخير ما يعجل»(٤).

وعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام: إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره، فإن الله عز وجل ربما اطلع على العبد، وهو على شيء من الطاعة، فيقول وعزتي وجلالي لا اعذبك بعدها ابدا، واذا هممت بسيئة فلا تعملها، فإنه ربما إطلع الله على العبد،

---

(١) غوالي اللئالي: ١١٨/٤. ومجمع الزوائد للهيثمي: ٢٣١/١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١١٤/١١.

(٣) غرر الحكم للامدي

(٤) وسائل الشيعة: ١١١/١ ط آل البيت قم.

وهو على شيء من المعصية، فيقول وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها ابدا(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

من انتظر بمعاجلة الفرص مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته لان من شأن الايام السلب وسبيل الزمن الموت(٢).

ومعنى الحديث: أن من لم يعاجل الفرصة المؤاتية بالانتهاز والاستغلال، وانتظر وأجلّ المبادرة فقد طلب إقصاء الفرصة وإبعادها... وسلبته الايام الفرصة المؤاتية.

التحذير من التكاسل في العمل:

عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام: «إياكم والكسل إن الرجل يصلي الركعتين تطوعا يريد بهما وجه الله يدخله الله بهما الجنة، وأنه ليتصدق بالدرهم تطوعا يريد به وجه الله فيدخله الله به الجنة، وإنه ليصوم اليوم تطوّعا يريد به وجه الله فيدخله الله به الجنة»(٣).

---

(١) وسائل الشيعة: ١١١/١ ط آل البيت قم.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦٨/٧٨ ح ١٨١ وميزان الحكمة: ٥٤/٨.

(٣) وسائل الشيعة: ١١٥/١.

لا تستصغر حسنة ولا سيئة:

عن محمد بن علي الباقرعليه السلام لمحمد بن مسلم: «يا محمد بن مسلم: لا تستصغرن حسنه تعملها فإنك تراها حيث تسرك، ولا تستصغرن سيئة فإنك تراها حيث تسؤوك»(١).

وعن أمير المؤمنينعليه السلام: «افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فإنّ صغيرة كبير، وقليلة كثير، ولا يقولن أحدكم: أن احداً اولى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك. أن للخير وللشر اهلاً فمهما تركتموه كفا كفموه اهله»(٢).

المبادرة الى العمل الصالح:

عن ابي عبد الله الصادقعليه السلام: «كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فإنك لا تدري ما يحدث»(٣).

عن ابي عبد الله الصادقعليه السلام: «إذا هّم أحد بخير أوصْلِة فإن على يمينه وشماله شيطانين فليبادر»(٤).

وعن أمير المؤمنينعليه السلام: «بادر الفرصة قبل أن تكون غصه»(٥).

---

(١) وسائل الشيعة: ١١٧/١ ط آل البيت.

(٢) وسائل الشيعة: ١١٨/١.

(٣) وسائل الشيعة: ١١١/١ ط آل البيت.

(٤) وسائل الشيعة: ١١٣/١.

(٥) غرر الحكم للامدي: ٤١٢٤.

الوعى والمراقبة

الوعي والمراقبة:

ولكي لا تفوت الانسان المبادرة الى فرص الرحمة وانتهازها يحتاج الى وعي ومراقبة.

وإذا فقدهما فقد المبادرة الى فرص الخير، وتفوته فرص الرحمة والخير، فرصة بعد آخرى، حتى إذا حلّ به الموت قال: ﴿**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾المؤمنون/١٠٠.

وأن الانسان ليجهل قيمة هذه الفرص عند الله او يغفل عنها، فيفوته من الخير والرحمة مالا يعلم به ولا يحصيه الا الله، ثم لا يمكنه أن يتداركها فيما بعد.

وأن القلب ليسهو وهو من أمراض القلب، فتفوت الانسان من هذه الفرص ما لا يحصيه ولا يعرفه الا الله، وتلك هي الخسارة التي لا تضاهيها خسارة.

ولكي يسلم الانسان من آفات الجهل والجهالة لا بدّ له من المراقبة. والغفلة من أعظم مصائب الانسان، يفقده ويخسره الكثير مما جعل الله تعالى للانسان من بركات في حياته.

عن علي عليه السلام «احذروا الغفلة فأنها من فقدان الحس»(١).

وهو كلام دقيق فإن الانسان في حالة الغفلة يفقد الاحساس عما يجري حوله وما يمر عليه.

---

(١) غرر الحكم ٥٧٤٧.

ويقول عليه السلام: «دوام الغفلة يعمي البصيرة»(١).

«ومن غلبت عليه الغفلة مات قلبه»(٢).

ولا يسلم الانسان من الغفلة الا بالمراقبة الدائمة المتصلة، حتى تتحول المراقبة الى ملكه ثابته في نفسه.

واليكم شرح هذين العنوانين في خاتمة هذا البحث:

---

(١) غرر الحكم ٥٧٤٧.

(٢) غرر الحكم ٥٧٤٧.

-١-

الوعي

الوعي الذي لا بدّ منه للانسان على ثلاثة اقسام:

١- وعي صفات الجلال والجمال الالهي.

٢- وعي النفس.

٣- وعي الفتن والفرص.

ولا بد للانسان من هذه الاقسام الثلاثة للوعي.

واليك تفصيل ذلك بقدر ما يسعه المقام:

١ـ وعي صفات الجلال والجمال الالهي:

وهذا الوعي هو معرفة الله تعالى. ومعرفة الله الغاية من خلق الانسان وغاية حركته وسعيه على وجه الارض.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذاريات/٥٦.

والعبادة تحمل الانسان على الخشوع بين يدي الله والطاعة والذكر والانقطاع الى الله من كل شيء وكل ذلك تحقيق للمعرفة وتحصيل للمعرفة.

وبين العبادة والمعرفة علاقة تبادلية

إنّ العبادة تؤدي الى معرفة الله، يقول تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾الحجر/٩٩.

وكلما ازداد حظّ الانسان من العبادة يزداد حظّه من اليقين والمعرفة، ولا نهاية لرحلة المعرفة واليقين

والعكس ايضاً صحيح، فإن معرفة العبد لصفات الجلال والجمال تُحَضرِّ الانسان للمثول بين يدي الله تعالى للعبادة، والخشوع والخضوع والطاعة...

وهكذا، يتكامل الانسان، في السلوك الى الله تعالى بين العبادة والمعرفة.

ومهما يزداد الانسان معرفة بالله تعالى يزداد قرباً الى الله تعالى، فإن المعرفة قرب والجهل بعد.... وهاتان المعادلتان من الواضحات.

وبين معرفة الله تعالى والتقرب الى الله علاقة طردية، كما أن بين الجهل بالله تعالى والبعد عن الله علاقة طردية ايضاً.

وعلى قدر معرفة الانسان بالله قربه الى الله.

وحظ الانسان من الكمال في سلوكه وكدحه الى الله هو معرفته بالله وتقربه الى الله.

ويموت كل انسان ليلقي الله تعالى بحظه الذي كسبه في الدنيا من القرب والمعرفة.

ومهما كان حظ الانسان من القرب والمعرفة أعظم كان حظه وموقعه من الله أعظم.

٢ـ وعي النفس:

وهذا الوعي هو ما يذكره علماء المعرفة بعنوان (معرفة النفس) ويأتي في المرتبة بعد معرفة الله تعالى، وهو من أقرب السبل الى معرفة الله تعالى.

وقد ذكر القرآن هذه المعرفة في هذا السياق، فإن ما تختزنه نفس الانسان من آيات الله تعالى يؤدي بالانسان الى

معرفة الله من أقرب الطرق وأيسره، ولو أن الانسان تأمل في نفسه، وأنعم النظر فيها آتاه الله تعالى الوعي في نفسه وهو يؤدي به الى معرفة الله من أقصر الطرق وأيسر السبل.

يقول تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾الذاريات/٢٠-٢١.

ويقول تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾فصلت/٥٣.

إِنّ التَأمل فيما أودع الله تعالى في نفس الانسان من كنوز وقدرات وآيات يفضي بالانسان الى معرفة الله تعالى.

والمدرسة العرفانية- الفقهية المعاصرة لنا- وهي المدرسة التي تتسلسل حلقاتها من صاحب الميزان الى السيد علي القاضي والملكي التبريزي والمولى محمد البهاري والسيد محمد سعيد الحبوبي والمولى حسين قلي الهمداني والمولى السيد علي التستري.... أقول هذه المدرسة تعتبر هذا المنهج هو المنهج المفصّل والأقرب والأفضل في معرفة الله تعالى.

ويدعو روّاد هذه المدرسة الى أن يتفرغ الانسان بضع دقائق في كل يوم للتفكير في نفسه، ينقطع عن التفكير عن كل شيء ويتأمل في نفسه: من انا؟ كيف أتذكر الاشياء؟ كيف أخجل؟ كيف اغضب؟ ما هي الفطرة التي اودعها الله تعالى في نفوسنا؟ ولماذا نحب الجمال ونكره القبيح، ولماذا نكره النظافه ونكره القذارة؟ ولماذا نتعاطف مع الضعفاء والمظلومين ونكره الظالم؟

ما هذه الغرائز المودعة في أنفسنا؟ ما الضمير ما العقل؟ كيف أفكر؟ وكيف انتقل من المعلوم الى المجهول، وكيف اكشف المجهولات العلمية؟ كيف اخاف؟ كيف يحزن الانسان وكيف يسر؟

وكيف يغضب وكيف يرضى؟ لماذا يعرض ولماذا يقبل؟ كيف يتعجب الانسان؟

ومآة الاسئلة من هذا القبيل:

إذا تعلم الانسان أن يغوص في نفسه، وتمرس على الغوص اليومي، ولو لبضع دقائق كل يوم يخرج من هذا الغوص بلئالئ من الوعي والمعرفة ومن أعظم ما يخرج به الانسان من هذا الغوص معرفة الله تعالى... وهو من أقرب الطرق الى الله وآمنها وأيسرها.

وقد يشق على الانسان أمر هذا الغور في داخل النفس، ولكن ما أن يتمرس على الغور في داخل نفسه حتى يسهل له ذلك كسائر المهارات النفسية.

والمهارات النفسية شأنها شأن المهارات الجسدية، بداياتها صعبة، ثم تسهل على الانسان كلما يتمرس بها.

وهذا هو الوعي الثاني.

٣ـ وعي الفتن والفرص:

أمام الانسان (فتن) و(فرص) في ساحة الحياة، وعلى الانسان أن يتحرك في مساحة الفتن بحيطه وحذر، ويتجنب السقوط في الفتن. فإن الفتن تشبه الالغام المبثوثة في ساحات

القتال، لا يعلم الانسان متى تنفجر تحت قدميه ويبتر ساقه وساعده.

وعلى العكس من ذلك (الفرص). على الانسان أن يعي الفرص، ويفهمها، وينتهزها، وينال مما جعل الله فيها من بركات ما أمكنه ذلك قبل أن تفوت، فإن الفرص سّياله، لا تثبت على حال، فإن لم ينتهزها صاحبها تفوته من غير رجعه، ولا تبقى له غير حسرة الخسران ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ العصر/٢. ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾الزمر/٥٦.

ونتحدث اولاً عن الفتن ثم الفرص.

فتن الشر والخير:

والفتن على طائفتين فتن الشر وفتن الخير، ويجب على الانسان التحرك بحذر وحيطه فيهما جميعاً، ويحذر أن يسقط فيهما، فلا يجزع في فتن الشر، ولا يستسلم لفتن الخير، ويسقط فيها. يقول تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾الأنبياء/٣٥.

وقد جاء ذكر لهذا وذاك في القرآن

يقول تعالى عن فتن الشر:

﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾ البقرة/١٥٥-١٥٦.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾البقرة/٢١٤.

هذه طائفة من فتن الشر: الجوع، والخوف، ونقص في الاموال والانفس والثمرات، والباساء، والضراء.

وهذه الفتن تواجه الناس جميعا من دون فرق، والابتلاء بهذه الفتن من سنن الله تعالى المطلقة غير المشروطة(١).

ولابد للانسان أولا من وعي هذه الفتن ومعرفتها والمقاومة والصبر تجاهها ولا يستسلم للجزع واليأس والتعب.

وفي مقابل فتن الشر فتن الخير. وقد ورد ذكر طائفة منها في آل عمران/١٤.

يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾آل عمران/١٤.

---

(١) سنن الله تعالى على طائفتين: ١- معلقة ومشروطة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾الرعد/١١. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾الأنفال/٥٣. وسنن مطلقة غير مشروطة نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾الأعراف/٩٤.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾الأنعام/٣٢.

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾الأنفال/٢٨.

وبمضمونها الآية ١٥ من سورة التغابن

وهذه طائفة من فتن الخير، وعلى الانسان أن يعيها ويفهمها ولا يغتّر بها، ولا ينزلق عليها، ولا يسقط فيها ويقاوم إغراءها وإثارتها، وهو من أعظم الجهاد.

وفي ساحة فتن الشر على الانسان أن يتحرك بحذر واحتياط، لئلا يسقط فيها.

والسقوط في فتن الشر هو بمعنى الجزع واليأس والتعب والهزيمة.

والسقوط في فتن الخير بمعنى الاغترار بها، والاستسلام لاغرائها، واختراق حدود الله تعالى اليها.

وعي الفرص:

قلنا أن الله تعالى جعل أمام الانسان فرصاً كثيرة، وجعل هذه الفرص في متناول الانسان، وجعلها سيّالة متصرمة.

فمن إنتهزها وأدركها نال خيراً ورزقاً كثيراً من عند الله، ومن تباطئ وتثاقل عنها ورث حسرة وخسرانا لاحد لهما.

وهذه الفرص على ثلاثة انحاء، كما شرحنا ذلك في هذا الكتاب.

فرص زمانية كليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان وشهر رمضان.

وفرص مكانية كالبيت الحرام والحرم النبوي الشريف وجامع الكوفة والمسجد الاقصى والحائر الحسيني.

وفرص زمانية- مكانية (مكانية) كيوم عرفة من بعد الزوال وفرص انسانية، وهي طائفة واسعة من الفرص كالحياة والشباب والفراغ والصحة، والغنى.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لابي ذر(رضوان الله عليه) «يا با ذر إغتنم خمساً قبل خمساً: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك وأياك والتسويف»(١).

وهذه الفرص جميعاً من منازل رحمة الله تعالى كالتقوى، والذكر والشكر والورع، وصلاة الجماعة، والدعاء، والحركة في الاسواق والجهاد في سبيل الله والدراسة، وطلب العلم.

وهذه النقاط، جميعا وغيرها من منازل رحمة الله تعالى في حياة الانسان.

وهي جميعاً سيّالة، متصّرمة، وقصيرة المدى، وإذا فات الانسان منه شيء لن يعود اليه مرة أخرى.

وذلك أن وعاء هذه الفرص جميعاً عمر الانسان.

ولما كان عمر الانسان سيّالا متصرّما، لا يثبت بحال، يكون حال هذه الفرص حالها، وتتصرم، كما يتصّرم عمر الانسان.

---

(١) وسائل الشيعة: ١١٤/١ وامالي الشيخ الطوسي: ١٢٩/٢.

فإذا فاتت الانسان صلاة الليل لليلة واحدة، فلن تعود اليه النافلة الفائتة مرة أخرى، والنافلة التي يدركها ويؤديها في ليلة قادمة نافلة أخرى غير التي فاتته.

وإذا فات الانسان طلب العلم في يوم من ايام من عمره، فلن تعود اليه الفرصة التي فاتته لطلب العلم مرة اخرى. فقد فاتت الفرصة من دون عودة، والفرص القادمة في أيام قابلة فرص أخرى غير التي فاتته.

وهكذا سائر الفرص.

والشرط الاول في التوفيق لانتهاز هذه الفرص وعي قيمة هذه الفرص في حياة الانسان، ووعى سيولتها وتصرمها

والشرط الثاني مراقبة هذه الفرص لانتهازها في وقتها.

المراقبة

والمراقبة على أربعة انحاء. واليك تفصيل هذه الأربعة.

المراقبة الأولى:

المراقبة الاولى هي مراقبة الله تعالى، وهي دوام ذكر الله تعالى في السراء والضراء، فلا يغفل العبد عن ربه، والله تعالى لا يغفل عن عبده... فإن الله لا يزال يذكر عبده في كل احواله الا أن يكون ممن ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾التوبة/٦٧.

وهذه المراقبة المستديمة لله تعالى وحضوره ومراقبته لعبده تحصن العبد من مثلث الهوى والفتنه والشيطان.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى لابن مسعود «يا بن مسعود اخشى (اعبد) الله تعالى كانك تراه، فإن لم تره، فإنه يراك»(١).

يقول الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بالْغَيْب وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيب ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ق/٣٣-٣٤.

وعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام لإسحاق (بن عمار) «يا اسحاق: خف الله كانك تراه، فإن لم تره فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لايراك فقد كفرت وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي، وبرزت له فقد جعلته في حد اهون الناظرين اليك»(٢).

وهو ما ذكرناه من مراقبة الله تعالى لعبده ومراقبة العبد لله... فإن الرؤية الأولى في الحديث النبوي المعروف، والذي يذكّر به الإمام الصادق عليه السلام اسحاق بن عمار هي من مراقبة العبد لله، وهو شرط التقوى والورع، والرؤية الثانية من مراقبة الله تعالى لعبده، وهو شرط الايمان بالله، ومن نفاها ورفضها فهو على حد الكفر بالله تعالى. وإن آمن بإن الله يراه، ثم لم يراقب الله تعالى في أعماله وهو مع ذلك يراقب الناس، ويستتر عنهم بمعاصيه، فقد جعل الله تعالى أهون الناظرين، وهو من أقبح ما يفعله الانسان.

---

(١) جامع الاخبار: ٣/١٢ وبحار الأنوار: ٣٩٣/٦٧ وغوالي الئالي: ١٢٩/١.

(٢) مشكاة الانوار: ٩٠.

المراقبة الثانية:

والمراقبة الثانية مراقبة النفس.

ولولا أنّ الله تعالى يراقب عبده، ويحفظه من نزواته وشهواته، ولا يكله الى نفسه واهوائها، ولولا أن الانسان يراقب نفسه وشهواتها لسقط الانسان في أول نزوه من نزوات النفس والهوى، سقوطاً لا يكون له من بعده نهوض.

ولكن الله تعالى يراقب عبده ويحفظه من نزوات النفس والهوى، ولا يكله الى نفسه، ولابد للانسان أن يبذل جهداً كبيراً في مراقبة نفسه بصورة متصلة ومستمرة، ولا يغفل عنها لحظة واحدة، فإن الشيطان يرصد الانسان في كل حين، فإذا صادف الانسان لحظة غفلة أسقطه في تلك اللحظة، لو لا أنّ الله تعالى يحفظه ويراقبه.

ارأيت السائق الذي يجري بسيارته بسرعة كبيرة، لو أنه غفل عن مراقبة السيارة والطريق لحظة واحدة لهلك في تلك اللحظة. إن المراقبة المستمرة والمستديمة شرط في السياقة. وإن نزوات النفس أشد خطورة من انحراف السيارة عن مسيرها، عند غفلة السائق.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أهلك شيء الهوى»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«احذروا اهواءكم، كما تحذرون اعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من إتباع اهوائهم»(١).

---

(١) غرر الحكم للآمدي: ١/١٨٠.

وعنه عليه السلام:

«لاتدع النفس وهواها، فإن هواها رداها»(٢).

وإذا كانت نفس الانسان وما تختزن من الاهواء، بهذه المثابة من الخطورة... فإن على الانسان أن يراقب نفسه ونزواتها وشهواتها باستمرار، ولا يغفل عنها.

وعندما تتحول هذه المراقبة الى ملكة راسخة في النفس يسهل أمر المراقبة المتصلة على الانسان، كما يسهل على السائق الحاذق مراقبة سيارته التي يسوقها بسرعة عالية، من غير عناء ومشقة.

وهذه هي المراقبة الثانية.

المراقبة الثالثة:

المراقبة الثالثة مراقبة الفتن في حياة الانسان... أن في طريق الانسان فتناً كثيرة مبثوثة ومزروعة على سطح الأرض، ولابد للانسان أن يحذر من السقوط في هذه الفتن. ومن هذه الفتن المال، والدنيا، والمواقع، والجنس الآخر.

يقول تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾آل عمران/١٤.

---

(١) بحار الانوار: ٨٢/٧٠ ح١٢.

(٢) بحار الانوار: ٨٩/٧٠ ح٢٠.

وهذه طائفة من الفتن تذكرها آية آل عمران، وفي حياة الانسان طوائف كثيرة من الفتن مبثوثة على طريقه، يمتحن الله تعالى بها عباده وثباتهم ومقاومتهم للفتن على الصراط المستقيم.

وهذه الفتن قائمة في واقع الحياة، على الأرض، وفي مقابل الفتن تقع (الاهواء).

والاهواء كامنة داخل النفس، وهي الوجه الآخر للفتن، وبين الاهواء (من داخل النفس) والفتن خارج النفس، على سطح الحياة، تجاذب قوي. تثير الفتن المنتشرة على سطح الحياة أهواء النفس وشهواتها، وتنجذب الاهواء والشهوات الى الفتن في المقابل.

والله تعالى يختبر الانسان بين هذين القطبين (الاهواء والفتن) ويمتحن ثباته ومقاومته بهما.

ولكي يفلح الانسان في هذا الامتحان العسير، يجب عليه أن يمارس مراقبة مضاعفة، مراقبة الاهواء داخل النفس، ومراقبة الفتن على سطح الحياة.

المراقبة الرابعة:

والمراقبة الرابعة على سطح الحياة مراقبة الفرص التي تمرّ على الانسان، مرور السحاب، فإذا أنتهزها نالها وتوفق بها وأدركها.

وهي لا تتكرر فإذا فاتت الانسان فرصة من هذه الفرص، فليس هنالك ما يعوض الفرصة الفائتة، والفرص المماثلة فرص أخرى غير التي فاتت الانسان، ولن تتكرر الفرصة مرة أخرى.

وهذه حقيقة مُرَّة لابد أن يدركها الانسان، وأكثر الناس يقعون في مغالطة نفسية كبيرة، يتوهمون أن هذه الفرص تتكرر فإذا فاتت فرصة عوضتها أخرى... وهو وهم من أوهام النفس.

وهذه الفرص التي تمر على الانسان فرص محدودة من عمره بالضرورة. فليس في عمر الانسان مالا نهاية له من (شهر رمضان) ولياليه وايامه المباركة، ليتهاون الانسان فيما رزقه الله من شهر رمضان اعتماداً على ما يقبل عليه من شهور رمضان في السنين القابلة. إن الفرص محدودة بالضرورة، وهي سياله، لا تثبت، وإذا أدرك الانسان هذه الحقائق جميعاً راقب هذه الفرص، مراقبة دقيقة لئلا تفوته فرصة من هذه الفرص المحدودة السيالة، التي لا تُعَوضَّ.

وهذه المراقبة لفرص الحياة شرط أساسي في توفيق الانسان في حياته.

ولن يتفاوت الناس في المرور بهذه الفرص، فإن الناس يمرون بهذه الفرص الزمانية والمكانية والانسانية، على نحو سواء، غير أن الذين يراقبون هذه الفرص في حياتهم، يدركون هذه الفرص، وينالون منها مالا يناله ولا يدركه الذين لا يراقبون هذه الفرص في حياتهم.

وقد ورد التعبير عن هذه المراقبة بالرعاية في الحديث القدسي الذي اوحى الله تعالى به الى داودعليه السلام او بعض الصديقين.

أن أولياء الله تعالى يسكنون الى ظلام الليل وهدوئه، ويحرصون على أن لا تفوتهم فرصة اللقاء بالله ومناجاة الحبيب وذكره في أناء الليل، وأنهم يحنون الى غروب الشمس، كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب، ويراعون الظلال (يعني يراقبون ظلال الشمس) ويتابعونها انتظاراً لقدوم الليل، كما يراعى الراعي الشفيق غنمه التي يحرص عليها، كذلك أولياء الله يحرصون على إنتشار ظلال الشمس ليستقبلوا الليل.

ولنقرء الحديث بتمامه، فإنه من غرر الحديث القدسي، وفيه ما يعجز الانسان عن تصويره من الشوق المتبادل بين الله تعالى وأوليائه، أولئك يشتاقون الى مناجاة الحبيب في ظلمات الليل، والله تعالى يشتاق اليهم، كما يشتاقون اليه. ويُحِبّهم كما يُحِبوّنه، ويذكرهم كما يذكرونه، ويرزقهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت من رحمته.

أوحى الله تعالى الى بعض الصديقين: «إن لي عبادا من عبادي، يحبوني وأحبهم، ويشتاقون الي وأشتاق اليهم، ويذكروني وأذكرهم، فإن أخذت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنه مقتك، فقال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار، كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحنّون الى غروب الشمس، كما تحن الطيور الى أوكارها عند الغروب، فإذا جنهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت

الأسرة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا اليّ اقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملقوني بإنعامي، ما بين صارخ وباك، وما بين متأوه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي، أقل ما أعطيهم ثلاثا: الأول: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني، كما أخبر عنهم. والثاني: لو كانت السماوات والأرضون، وما فيها في موازينهم، لاستقللتها لهم. والثالث: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه، يعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟»(١).

ومن الناس من تفوتهم فرصة هدأة الليل وظلامه وما يرزق الله تعالى فيه أحبابه من مناجاته وذكره والقيام والركوع وافتراش المساجد بين يديه، ولا يعون عظم الخسارة التي يمنون بها في تضييع هذه الفرص.

فتلك هي الخسارة التي تعقبها الحسرة اعاذنا الله منها.

---

(١) مسكن الفؤاد للشهيد الثاني: ٢٧. والجواهر السنية للحر العاملي: ٣٥٨ وبحار الانوار: ٢٦/٦٧.

الفهرس